Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستشار الدكتور علي جمعة محمد

الاتجاهات الفكرية المعاصرة

Bibliotheca Alexandrina
0007130

المستشار الدكتور علي جريشة

الاتجاهات الفكرية المعاصرة

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية : ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

الطبعة الثالثة : ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت. ٣٤٧٤٢٣ ص. ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله،والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه

مقدمة الطبعة الثانية

* هذا الكتاب شقيق لكتاب سبقه (أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى) والذى شاركنى فيه عالم جليل (فضيلة الشيخ الأستاذ محمد شريف الزئبق) طبعت منه حتى الآن خمس أو ست طبعات ، وإن لم يشأ الناشر أن يشير إلى ذلك .

وكنت أعتقد أن هذا الكتاب بما جنحت إليه فيه من عمق .. سوف يبقى قاصرا على الدارسين والمتخصصين ، خاصة وأنه يدرس بفضل الله كمنهج للدراسات العليا فى أكثر من جامعة .

لكن سرعة توزيعه ، وإقبال غير المتخصصين عليه .. أعطانى أكثر من مؤشر .. إن الأمة عامة ، وأبناء الدعوة خاصة قد زاد وعيهم ، ومن ثم زاد اتجاههم إلى ماهو أعمق !

وثانيهما .. أن الكتاب رغم ما فيه من محاولة للتعمق أشبع الخاصة لكنه لم (يندّ) عن العامة ومن ثم أقبلوا عليه .. !

إنها نعمة من الله .. ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ .

وإنه فضل الله .. ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

* وقد لحقت بالكتاب وهو على أبواب المطبعة فأسرته أسرا ، لأشارك فى المراجعة ، ولأتناول بعض النقاط ببعض التعديل ، ثم لأؤكد على عدم وضع (صورة

ولو كانت كاريكاتيرية) عليه ، فذلك يؤذى بعض الشباب ، وقد احترمت وجهة نظرهم ، وأمرت بعدم الصور خروجا من الخلاف !

* وبعد ، فها نحن نقدمه مرة أخرى لأمتنا المشوقة إلى الحق ، الباحثة عن الحقيقة .. لعلها تدرك من ورائه ما يراد بها وما يراد لها .. ولعلها تعرف الطريق إلى دين ربها فتسعد وتعز مرة أخرى .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

القاهرة

١٢ من ذى الحجة ١٤٠٨ هـ

٢٥ من يوليو ١٩٨٨ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فاتحـة

١ ـــ اعتاد الناس أن يطالعوا مع كل كتاب أو مؤلف فاتحة له تشير إلى فحواه أو مضمونه ولقد كان ترتيب القرآن رائدا فى هذا المجال إذ كانت فاتحته متضمنة معانيه الرئيسية على نحو ماأبان الشارحون .[١]

وفى هذه الكلمات نشير إلى المحتوى ثم أهمية هذه المادة

ونود قبل أن نسترسل فى هذا المجال أن نؤكد أننا بإذن الله نلتزم المنهج العلمى المتسم بالموضوعية بعيدا عن التأثر أو التأثير العاطفى ، وبعيدا كذلك عن التجريح ... يقينا بأن هذا المنهج هو الأقرب إلى بلوغ الحق ومعرفة الحقيقة ، فضلا عن أنه منهج الإسلام ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو فى ضلال مبين ، قل لاتُسألونَ عما أجرمنا ولانُسأل عما تعملون ﴾[٢] ﴿ ولاتَسُبوا الذين يَدْعُون من دون الله فَيَسُبوا الله عدواً بغير علم ..﴾[٣] « ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء »[٤] « مابال أقوام قالو كذا وكذا .. »[٥]

ولعل هذا هو الأنسب لمرحلة النضج الفكرى التى نكتب لها أو نكتب فيها ..

ونعرض بعد ذلك عماتساقط فيه الآخرون ـــ الذين سوف نعرض لهم ـــ حيث «تعمل المحاباة العاطفية فعلها فى هذه « الرصانة الغربية » بصور تكاد تكون دائمة وثابتة فتضطرب وتختل[٦] ، رغم مانلحظه من التزامهم « بالرصانة والالتزام »[٧] ، حين يكتبون عن أديان أو حضارات غير دين الإسلام

---

(١) راجع الإمام ابن القيم فى كتابه القيم « مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .
(٢) سبا آية ٢٤ ـــ ٢٥ .
(٣) الأنعام آية ١٠٨ .
(٤) الترمذى ٨ / ١٤٩ وقال حديثا حسن غريب .
(٥) مسلم ٢ / ١٠٢٠ رقم ١٤٠١ .
(٦) ، (٧) محمد أسد ـــ الطريق إلى مكة ـــ ترجمة عفيف البعلبكى ـــ الطبعة الأولى ببيروت سنة ١٩٥٦=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحضارته » .

٢ ـــ ولقد يبدو ـــ مما سبق ـــ أن المادة شائكة ، فلقد خاض فيها البعض عن علم[1] ، وخاض البعض الآخر بغير علم ، أو علموا وضلوا وآثروا الخلط أو الكتمان . وسوف نحاول أن نأخذ هؤلاء بما كتبت أيديهم أو نرد عليهم بشاهد من أنفسهم .

ولقد نعلم من ذلك أننا نعرض لتيارات فكرية سارت أو سارعت فى الغرب أو الشرق ثم قدمت إلينا فصارعت فى عالمنا الإسلامى عقيدة الإسلام وشريعته .

ولقد يستبين من ذلك أهمية الموضوع وخطورته .. إنه ليس « ترفا فكريا » أو كماليات عقلية .. إنه قد يرتفع إلى مرتبة الحاجة أو الضرورة !

(أ) فلا يعرف الإسلام من لايعرف الجاهلية ، ولايستبين الحق أو الرشد من لم يتبين الباطل أو الغى .

(ب) كذلك لاينافح عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه ، ومن لم يدرس خططهم و« تكتيكهم » ، ولايقدر على الحرب من لم يتعرف أرض المعركة

(ج) وإنها معركة ليست أقل من المعارك الحربية التى خاضها المسلمون

= ص ٢٠ ، أشار إليه د / عرفان عبد الحميد فى « المستشرقون والإسلام » نشر المكتب الإسلامى ـــ الطبعة الثانية ص ٣ .

(١) إلى وقت كتابة هذه الكلمات « مع مطلع عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) ـــ لم تكن تحت أيدينا مادة متكاملة حول هذ المنهج ، وإنما كنا نبحث مع كل فصل ، وأحيانا مع كل مبحث فى عدة كتب ، ولم يكن سوى محاولة طيبة للدكتور / عبد الرحمن عميرة لكنها لم تكن شاملة كل المنهج فضلا عن تغاير فى أسلوب تناول المادة . وبعد الانتهاء من هذه الكلمات وجدنا أثرين طيبين : كتاب للأستاذ محمد قطب يحمل عنوانا قريبا من هذا العنوان ويتناول أغلب موضوعات هذا المنهج ، ومذكرة للدكتور جمعة الخولى ـــ رحمه الله ـــ حول هذا الموضوع ، وقد كان بودنا أن نكتفى بأحدهما ـــ لولا اختلاف طريقة التناول . ونرجوا أن يكون هذا الكتاب شقيقا ثالثا أو رابعا يرى هذه المادة الهامة بمحاولة متواضعة اتسمت بالموضوعية والتعمق ، وسوف يضطرنا ظهور الكتابين الكريمين بعد انتهائنا من محاولتنا أن نشير إليهما فى الهامش حتى لايفوتنا الخير ، وحتى لايضطرب المتن الذى انتهينا منه قبل الاطلاع عليهما . مع أسفنا العميق لهذا التناول .والله المستعان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولايزالون فى بعض الأماكن ، إن الأخيرة قد استهدفت بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، أما هذه ـــ وهنا مكمن خطورتها ـــ فإنها تستهدف القلب والفكر والوجدان وهى ـــ لعمرى ـــ أعز على الله وأعز علينا من الأرض والتراب ؟

٣ ـــ ولسوف نقدم بإذن الله فى باب تمهيدى للغزو الفكرى الذى تعرض له العالم الإسلامى ونعرض ـــ فى اختصار ـــ معه للإستشراق والتبشير .

ثم نثنى بدراسة مستفيضة للتيار الوافد من الغرب حاملا معه العلمانية فكرا أو « أيدلوجية » ، والديمقراطية شعارا سياسيا ، والرأسمالية شعارا اقتصاديا ، والوجودية أو الإباحية شعارا اجتماعيا .. ونعرض بعده للتيار الوافد من الشرق حاملا « المادية الجدلية فكرا ، أو ايدلوجية ، ودكتاتورية البروليتاريا شعارا سياسيا ، والاشتراكية العلمية أو الشيوعية شعارا « اقتصاديا » ، وشيوعية النساء وإلغاء الأسرة شعارا اجتماعيا .

ونحسبنا بعد ذلك عارضين للماسونية بأفكارها وخداعها وتلونها ومؤسساتها وعارضين لما وراءها من الفكر الصهيونى المتلوى والمتلون ..

وأخيرا نعرض لما عرف فى المنطقة الإسلامية من تيارات إسلامية قاصرة أو مقصرة .. ثم تيارات أصيلة صارعت الغزو الفكرى من الخارج ، والمروق العقدى والخلقى والتطبيقى من الداخل ـــ والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

المؤلف

المدينة المنورة

جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب التمهيدى
الغزو الفكرى للعالم الإسلامى
ونبذة عن
الاستشراق والتبشير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقدمة

٤ ـــ يأسى الناس حين يسمعون بغزو عسكرى لبلد آمن .. مع أن مثل هذا الغزو يستهدف بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، وقد يكون وراءه أغراض أخرى .. اقتصادية أو سياسية .. بيد أنهم لاينتبهون إذا تعرضوا للغزو الفكرى ولايأسون إذا أحسوا ذلك الغزو .. مع أن هذا اللون من الغزو يستهدف أشرف مافى الإنسان .. قلبه وعقله ، عقيدته وفكره ، ولقد يكون ذلك راجعا إلى مايسلكه الغزو من سبل التدسس والتدلس الأمر الذى قد لاتحسه الشعوب حتى تفاجأ بعد ذلك بنتيجته الأليمة .

ولقد يصحب الغزو الفكرى غزو عسكرى وقد يسبقه وقد يتلوه ، وكل ذلك تعرضت له الأمة الإسلامية .

٥ ـــ ولقد كان بدء التفكير في الغزو .. مع ماأحسه الغرب من خطر الإسلام (١)

---

(١) يقول المبشر : لورنس براون » : لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررالمثل هذه المخاوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى وبالخطر الأصفر، وبالخطر البلشفى ، إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا فكل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قدرته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى » نقلا عن : أجنحة المكر الثلاثة للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص ٦٧ » .

وفى صحيفة الحرز لم بوست الصهيونية كتب حايم هيتزوغ السفير اليهودى السابق لدى الأمم المتحدة » إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية وقبل هؤلاء جميعا وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط فى سبات عميق » ٢٥ / ٩ / ١٩٧٨ م .

وفى تعبير صريح يقول ابن غوريون » نحن لانخشى الاشتراكيات ولاالثوريات ولاالديمقراطيات فى المنطقة ، نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذى نام طويلا وبدأ يتململ من جديد »

ويقول الكاتب اليهودى « شعيا بومان » : « إن على أوربا أن تظل خائفة من الإسلام ذلك الدين الذى ظهر فى مكة لم يضعف من الناحية العددية ، بل هو فى ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل إن من أهم أركانه الجهاد ، وهذا مايجب أن تتنبه له أوربا جيدا » (المرجع السابق ص ١٣١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو ماأسماه بعضهم « المصيبة الإسلامية »[1] ، وأحسوا معها أن الغزو العسكرى لن يجدى مع هذه العقيدة الزاحفة ، ومن ثم انتهى فكرهم إلى أنه لابد للشجرة أن يقطعها أحد أبنائها .[2]

لعل فى هذه الكلمات مايجيب على سؤال : متى كان الغزو ؟ ولعلها تجيب على سؤال : لم كان الغزو ؟

٦ ــ ولقد يكون لازما بعد ذلك أن نعرض لألوان هذا الغزو ومراحله :ــ

---

(١) يقول المستشرق « لبون كاتيانى ١٨٦٩ ــ ١٩٢٦ م ، فى حوليات الإسلام » : إنه يفهم من عمله ذلك (يقصد المؤلف الذى كتبه) سر المصيبة الإسلامية « كاتاسترومیکا إسلاميكا » التى انتزعت من الدين المسيحى ملايين من الأتباع من شتى أنحاء الأرض مايزالون يدينون برسالة محمد (ﷺ) ويؤمنون به نبيا ورسولا »

« راجع د / عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر . ط . دار المعارف بالقاهرة » ويعبر اليهود عن هذه المصيبة الإسلامية تعبيرات عدة ــ ففى صحيفة أحرنوت فى ١٨ / ٣ / ١٩٧٨ م : إن على وسائل إعلامنا أن لاتنسى حقيقة هامة هى جزء من استراتيجية إسرائيل فى حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هى أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا فى إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا فى منع استيقاظ الروح الإسلامية بأى شكل وبأى أسلوب ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لاخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية فى المنطقة المحيطة بنا .

وفى تعليق لراديو اسرائيل فى الساعة العاشرة والربع مساء يوم ٥ / ٩ / ١٩٧٨ قال معلق الإذاعة للشئون السياسية : « إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد فى المنطقة تشكل تهديدا مباشرا لمستقبل إسرائيل ولمستقبل الحضارة الغربية بأسرها » .

(٢) إذا أردتم أن تغزو الإسلام وتخضدوا شوكته ، وتقضوا على هذه العقيدة التى قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها ، والتى كانت السبب الأول والرئيسى لاعتزاز المسلمين وشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم ، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم ــ وكتابهم القرآن وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية وتوفير عوامل الهدم المعنوى ، وحتى ولو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها فى القطع أحد أغصانها » . « غزو العالم الإسلامى للمستشرق : شاتلى ص ٢٦٤ نقلا عن الأستاذ حبنكة ــ المرجع السابق » .
وقد سبق أن أشرنا إلى ماتردده إسرائيل عن الإستعانة « بأصدقائنا فى المنطقة » !!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما ألوانه فيذكرون فيها : الاستشراق والتبشير (أو التنصير) كما يرى البعض تصحيح هذا المصطلح حتى لاينخدع الناس بما يحمله لفظه من معنى البشارة أو البشرى ومايحمله التنصير من تحديد للهدف بعد تحديد اللفظ ... بيد أننا نرى :ـــ

(أ) أن التبشير الحديث لم يعد يعتمد « التنصير » « مخططا وحيدا » إن لم نستطع أن نقول إنه لم يعد يعتمده (المخطط الرئيسى) .

(ب) أنه إذا شاع مصطلح (التبشير) على مايجرى من محاولة (التنصير) وعلى ماأعقبها من تطوير ـــ فإننا لانرى مانعا من بقاء المصطلح مادمنا قد اتفقنا على محتواه ، ولامشاحة فى الاصطلاح .

فضلا عن احتمال استعمال التبشير فى غير الخير سواء بسواء*، ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .[1]

وإذا جاز لنا اعتبار هذين الأمرين .. فإننا نخالف أكثر الكاتبين فى تقديم الاستشراق على التبشير بما نظنه من سبق زمنى للأول على الأخير ، ونزولا على اعتبار التبشير عند البعض[2] إحدى وسائل الاستشراق .

بيد أننا نجعل مرحلة جديدة للتبشير ، أسميناها « التبشير الحديث »[3] وأسماها غيرنا (التحديث) أو (التغيير الاجتماعى)[4] ، وهى الصورة الأخيرة والغالبة للغزو الفكرى فى عالمنا الإسلامى ـــ فيما نحسب ، والله أعلم .

---

(١) الانشقاق آية ٢٤

(٢) دكتور عبد النعيم حسنين فى بحثه القيم عن الاستشراق ، والمقدم إلى المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة .

(٣) بحثنا « الأساليب التبشيرية فى العصر الحديث ـــ مقدم إلى المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة » .

(٤) الأول والثانى يرد فى كتابات الأمريكيين « مثل مورو بيرجر ، مايلز كوبلاند » ويغلب الأول على الكتابات الرسمية « راجع وثيقة مجلس الشيوخ الأمريكى الذى ضمت بعض لجانه » « بالإبطاء فى التحديث » حتى لايقع رد الفعل الذى حدث فى إيران حين سارعت فى التحديث .

(*) معنى التبشير لغة سوف يرد بإذن الله عند حديثنا عن التبشير « راجع الفصل الثانى من هذا الباب » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسوف نعرض لهذه الصور والمراحل على التوالى .. إن شاء الله ، والله المستعان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول
الاستشراق

معنى الاستشراق وبدايته :ـــ

٧ ـــ الاستشراق يعنى : [١] تعلم علوم الشرق ... وتلك كانت بدايته . وأغلب الظن أنها كانت بعد أن فتح الغرب عينيه مع الفتح الإسلامى أو على الفتح الإسلامى ، وبعد ماانتقلت حضارة المسلمين وعلومهم إلى الغرب ... فى جامعات : قرطبة ، وطليطلة ، وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط الذى صار ـــ بفضل الله ـــ بحيرة الإسلامية . [٢]

---

(١) ويعرفه المستشرق ميكائيل أنجلو جويدى بقوله : « ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب بالذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب ، بل إنه من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض اتجاه الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية ، هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنة أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التمدن فى القرون الوسطى مثلا أو فى النهضه الحديثة » (الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين ص ٨) .

(٢) يقرر الدكتور مصطفى السباعى ـــ رحمه الله ـــ : « لايعرف بالضبط من هو أول غربى عنى بالدراسات الشرقية ، ولا فى أى وقت كان ذلك ، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم ، وبخاصة فى الفسلفة والطب والرياضيات . ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى جورث الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، ومنهم الراهب بطرس المحترم ١٠٩٢ ـــ ١١٥٦ ، ومنهم الراهب جراردى كريون ١١٤ ـــ ١١٨٧ (الأستاذ حبنكة ص ٨٩ ـــ ٩٠ المرجع السابق) .

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول بنشاط كبير فى الترجمة ، ومع الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمة ... (أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٩) .

ولعل هذه أكبر دقة مما قيل : من أن الاستشراق بدأ فى أسبانيا فى القرن السابع الهجرى « بعد التاريخ السابق بقرنين تقريبا » ، وذلك مع حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين حيث دعا الفونس ملك قشتالة سكوت =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم تأكد الاستشراق وتوسع مع الحروب الصليبية ثم زاد خطره ، وتحدد هدفه بعد الحروب الصليبية كبديل لهذه الحروب مع صنوه وشقيقه التبشير .

مراحل الاستشراق :ـــ

٨ ـــ نستطيع أن نرسم للاستشراق مراحل ثلاثة :

مرحلة أولى ـــ مرحلة استكشاف :

استكشاف لكنه الغزاة الفاتحين (من المسلمين) ولفكرهم وسر تفوقهم ، وفى هذه المرحلة نحسب الاستشراق كان ميالا إلى الموضوعية ، بحاثا عن الحقيقة .

مرحلة ثانية ـــ مرحلة مشوبة :

مشوبة بالعدوان وبيان نقاط الضعف لدى المسلمين ، وتوجيه أعدائهم توجيها ضد مصالح الإسلام والمسلمين ، وهى المرحلة التى ساير فيها الاستشراق الحروب الصليبية وصاحبها .

مرحلة ثالثة ـــ مرحلة العدوان المباشر السافر :

بعد أن ارتضى هؤلاء (العلماء) أن يكونوا بمثابة (المخالب) للغرب الحاقد على الإسلام والمسلمين بعد فشل الحروب الصليبية فى تحقيق أهدافها ، إذ كان التوجيه إلى حرب الفكر والعقيدة بديلا عن حرب السلام ، وكان الوصول إلى القلب والعقل بديلا عن احتلال الأرض والتراب .[1] واقترنت هذه المرحلة

= ليقوم بالبحث فى علوم المسلمين وحضارتهم . (أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٩ ، وراجع ماكتبه النيكونت فيليب دى طرازى «كاتب مؤرخ نصرانى») حيث يشير إلى : أن الأحبار والرهبان صاروا يتعلمون العربية بأوامر من البابوات وقرر مجمع فيينا المنعقد بسنة ١٣١١ برئاسة البابا إقليميس الخامس أن تدرس دروس عربية وعبرية وسريانية فى روما على نفقة الحبر الأعظم ... ويعتبرون من مآثر البابا لادن العاشر أنه افتتح عام ١٥١٤ م أول مطبعة عربية (ص ٨٨ الغزو الفكرى د / على عبدالحليم محمود) .

(١) إلى هذا المعنى تشير وصية لويس التاسع الذى أسر فى الحملة الصليبية الثامنة فى المنصورة بمصر : « الا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية دار الإسلام وصون الحرمات والأعراض .. وأنه لابد من سبيل آخر وهو : تحويل الفكر الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى ، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به الفكر الإسلامى ... (أساليب الغزو =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ببداية عقد المؤتمرات التى تسدد الجهود وتخطط الأهداف للمستشرقين ، وكان أول مؤتمر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٧٣ م) ولاتزال المؤتمرات تتوالى حتى اليوم .

٩ ــ بيد أن لنا بل علينا أن نقرر أنه فى كل مرحلة ــ وبخاصة المرحلة الأولى ــ غلبت الموضوعية والاعتدال على بعض المستشرقين[١] ، بل ظهر الإنصاف عند بعضهم ، وبلغ الإنصاف عند جزء من هذا البعض حد دخول الإسلام .[٢]

أهداف الاستشراق :ــ

١٠ ــ يمكن أن نلخص هذه الأهداف فيما يلى :

١ ــ هدف علمى :

نقصد به ذلك النفر ، الذى نفر إلى تعلم علوم الإسلام بحثا عن الحق وبلوغا إلى الحقيقة ... وهو مايغلب على المرحلة الأولى التى بدأ بها الاستشراق ــ فيما نظن والله أعلم ــ وإن كان معهم من حاولوا تشويه الإسلام ليحولوا دون تأثرهم فى دينهم ، أما بقية المراحل فقد جانبها هذا الهدف فى عمومها ، لكنها لم تخل من نفر قليل حاول البحث عن الحقيقة ومن ثم اتسم بالموضوعية والاعتدال ، أو جاوز ذلك فبلغ الحقيقة وتكشف له الحق فدخل الإسلام ، وقد ضربنا له من قبل

=المرجع السابق ص ١٩) .

(١) ومن أمثال هؤلاء : المستشرق رينان الذى أنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، كما أثنى على كتب السيرة النبوية وقال إن لها ميزة أكبر من الأناجيل المتداولة والمستشرق كان لايل الذى عد محمدا عليه السلام من الأبطال ، وتولستوى الروسى الذى أعجب بالإسلام .. (راجع أساليب الغزو الفكرى ص ٢٩ ، وفى ص ٢١ يشير الكتاب إلى : « وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) عمد المستشرقون إلى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد هو مازعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية ، والاتجاه به وجهة البحث العلمى ، بيد أن لنا أن نشير إلى أن هذا ليس صحيحا على إطلاقه ولم يلزم بمثل هذا العمد إلا القليل .

(٢) من أمثال هؤلاء اللورد هيدلى دانين دنينة (ناصر الدين) ، وجوتيه (الشاعر الألمانى) والدكتور جرينيه (عضو مجلس النواب الفرنسى) ــ (المرجع السابق ص ٢٩ نقلا عن أوربا والإسلام د / عبد الحليم محمود ــ رحمة الله ــ) . وأخيرا هدية الله إلى المسلمين د. رجاء جارودى سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ــ هدف صليبى :

ولم أشأ أن أقول دينيا ، كما يقع البعض فى ذلك التعبير ، لأنه لو كان الهدف دينيا لبلغ الحقيقة ... لكن الهدف هو الانتصار للصليبية[١] فى صورتها المشوهة التى شوهت بها حقيقة الدين الذى أنزل على المسيح عليه السلام ، والتى اتسمت بالعصبية المقيتة التى دفعتهم إلى الحروب الصليبية شفاء لما فى الصدور ... فكانت حركة الاستشراق المصاحبة لهذه الحروب متسمة بنفس الهدف ، وكانت كذلك حركة الاستشراق التالية لهذه الحروب ملبية لهذا الهدف بديلا عن الحروب مسايرة ومصاحبة لحركة التبشير التى حملت نفس الهدف ، كذلك كانت حركة الاستشراق السابقة على الاستعمار (القرن ١٩ م) والمصاحبة له .[٢]

٣ ــ هدف دفاعى :

وهو وسط بين الهدفين السابقين .. ونقصد به ماعمد إليه المستشرقون ــ خاصة فى الفترة الأولى ــ إلى محاولة (مقاومة الإسلام) من أن يغزو بنى جنسهم أو أن ينتشر فى تلك البلاد التى ليست لها ديانة خاصة ، والتى أشار البعض إلى أنهم ٣٠٠ مليون ، فحاولوا تشويهه عندهم .. وتنكروا بذلك للهدف العلمى الذى بدأوا به أو زعموا ذلك .

وسائل الاستشراق :ــ

١١ ــ اعتاد الكتاب أن يتناولوا تحت مثل هذا العنوان الإشارة إلى : المحاضرات ،

---

(١) بهذا سماها المفكر الغربى برنارد شو (راجع كولن ولسن . سقوط الحضارة ــ ط الثانية ترجمة أنيس زكى حسن ص ١٧٤ ومابعدها) .

(٢) وفى هذا يقول الدكتور على عبد الحليم محمود : « إن حركة الاستشراق واكبت وسايرت حركة الاستعمار ، بل مهدت لها فى كثير من الأحيان ، وليس من الخفى على أحد من المثقفين أن أول جماعة أسست لخدمة الاستشراق والانتفاع بجهد رجاله سياسيا قامت فى فرنسا سنة ١٢٠٢هـ ــ ١٧٨٧ م تحت إشراف وزارة المستعمرات ، وإن هذه المسايرة وهذا التمهيد للاستعمار هو الذى جعل حركة الاستشراق كلها إلا فى القليل النادر موضع الشك والريبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاجتماعات والـمؤلفات .. إلخ لكنى أقصد الإشارة إلى وسيلتين ــ

أولهما : تلك التى يمارسها الـمستشرقون توصيلا لأفكارهم إلى التجمعات التى يودون التأثير عليها .. وذلك بطريق مباشر وأكثرها عن طريق الكتابة .. مقروءة أو مسموعة أو مرئية .

وثانيهما : وهى الأخطر ... لأنها غير مباشرة ، ومستخفية تحت أسماء أكثرها (إسلامية) وفى أكثر الأحيان يضفى عليها الألقاب مثل : عميد الأدب العربى .. امير .. الكاتب الكبير .. إلخ .

وخطورة هذه الوسيلة فى استخفائها أولا ، وفى التمويه الذى صاحب الإعلان عن أصحابها ثانيا ، وقد كثر اللجوء إلى هذه الوسيلة فى الفترة الأخيرة ، وأدى (تلاميذ الـمستشرقين) أدوارا عجز عن أدائها الـمستشرقون أنفسهم . [1]

محاولات التشويه الاستشراقى :ــ [2]

١٢ ــ لايكاد مجال من الـمجالات الإسلامية سلم من التشويه الـمتعمد من الحاقدين ، أو التشويه العفوى من الجاهلين ... من الـمستشرقين ، ثم من تبعهم مِنْ تلاميذهم .. الحاقدين أو الجاهلين كذلك .

وأول هذه المجالات : مصادر الإسلام (الله ــ رسوله ــ الكتاب ــ السنة)

كتاب الله وسنة رسوله ، وشخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، بل وقبل شخصية الرسول ﷺ ذات الله وصفاته فزعموا فى بعض صفات الله الغموض[3] ، وقالوا كذلك بالتناقض[3] ، ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ ووضعهم فى صفوف المعبودين مع الأصنام .. ونسبوا ذلك التفسير إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) راجع تحت عنوان (تلاميذ المستشرقين ص ٢٢ ــ ٢٤ أساليب الغزو الفكرى ــ المرجع السابق) .

(٢) راجع تفصيلا كتيب د / عرفان عبد الحميد ــ المستشرقون والإسلام . طبع المكتب الإسلامى وكتاب الأستاذ / نذير حمدان (الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين من سلسلة دعوة الحق) .

(٣) D.B. MACDNALD وما كتبه فى دائرة المعارف الإسلامية (ا) ٤ / ٢٤٨ ، وفى نفس المعنى : جب (المذهب المحمدى ص ٢٥ وما بعدها) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وزعموا فى شخص الرسول ﷺ الكثير ... فقالوا بأنه كان يعتريه الصرع تفسيرا لـما كان يحدث له أثناء الوحى ـــ وأنه سمى أحد أولاده « عبد مناف » أى خادم الرب الـمكى مناف .[1]

وزعموا أنه كان يؤلف القرآن على سجع الكهان . « ! »

وزعموا أنه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ كان شديد الشهوة ...« ! »

وقالوا إن القرآن من عمل محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ « ! » ووصفوا الحديث « بالوضع » ، و« التناقض » ، وأنه سجل للجدل الدينى فى القرآن [2].

وثانى هذه المجالات ـــ لغة الإسلام أو لغة القرآن .

ونعنى بها اللغة العربية ، فهاجموها فى قواعدها ، ودعوا بالكتابة بالعامية بدلا من الفصحى [3] ، وذكروا أن التزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة لايمكن أن يؤدى إلى أدب حقيقى أو متطور وأرادوا أن يحصروا اللغة العربية الفحصى فى دائرة الطقوس تشبها بما عندهم « لكن لغة القرآن لايكتب بها الآن فى أى قطر .. وحتى مايدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لايمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث بالعامية ، إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هى فى كل مكان . وزعموا « أن أمل التقدم ضعيف فى مصر طالـما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ـــ لغة القرآن ـــ كما هى فى الوقت الحاضر [4] ودعوا إلى كتابة حروفها باللاتينية .

---

(١) هـ . ح . ويلز ـــ معالم تاريخ الإنسانية ٣ / ٦٢٢ وما بعدها ـــ وتعليقا عليه للدكتور / على عبد الحليم محمود ، فى بحثه السابق الإشارة ، وكذلك وليم هوبر فى كتابه حياة محمد ، مرجليوث وغيرهم كثير .

(٢) ماكدونالد ـــ المرجع السابق ٤ / ٢٥٥ .

(٣ ، ٤) كتب المستشرق دلهام سبياه (عام ١٨٨٠) كتابا أسماه (قواعد اللغة العربية العامية فى مصر) نقلنا بعض نصوصه فى المتن ـــ وقد عاد المذكور فكتب تقريرا أيد فيه اللورد دوقرين فى هجر العربية الفصحى ، وقد تبع ذلك المستشرق مستشرق اخر هو كارل فوارس الذى تولى نفس منصب سلفه السابق (مديرا لدار الكتب المصرية ..) وكلاهما ألمانى وتبعهم المستشرق الإنجليزى سيلون ولمور الذى كان قاضيا بالمحاكم الأهليه فى مصر ، وكذلك دعا عالم أمريكى وتبعهم المستشرق بادل وكان يعمل قاضيا بالمحاكم الأهلية المصرية ..المستشرق قيلوت وكان يعمل أستاذا للغات الشرقية فى جامعة كمبردج وقد وضعا معا كتاب (المقتضب فى عربية مصر) وتبعهم المستشرق الإنجليزى وليم لكوكس وكان يعمل مهندسا للرى عام ١٨٨٣ =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تبع ذلك تلاميذ المستشرقين .. الذين حملوا لواء الحملة على اللغة العربية الفصحى ، وقد سجل كثير من الزملاء أسماء هؤلاء .[1]

وثالث هذه المجالات .. كان الفقه الإسلامي :

فوصفوه بالرجعية[2] ، كما وصفوه بالقسوة فى الأحكام[3] ، كما خلطوا بين المصادر الربانية (الكتاب والسنة) والعمل البشرى (الاجتهاد) .[4]

وتولى الإشراف على مجلة الأزهر عام ١٨٩٣ م حيث ألقى محاضرة ربط المحطاط العرب بتمسكهم بلغتهم العربية الفصحى (!!) ، ثم فى رسالته (راجع أجنحة المكر الثلاثة ص ٢٩٥ وما بعدها) .

(١) ذكر الأخ عبد الرحمن حبنكة أسماء : لطفى السيد ، عبد العزيز فهمى ، طه حسين ، لويس عوض وغيرهم .. (المرجع السابق ص ٢٩٦ وما بعدها) .

وكذلك د. محمد البهى فى كتابه القيم الاستعمار الغربى والفكر الإسلامى .

(٢،٣) د. على عبد الحليم محمود ـــ المرجع السابق .

(٤) أساليب الغزو الفكرى ـــ المرجع السابق .

ملخص الاستشراق

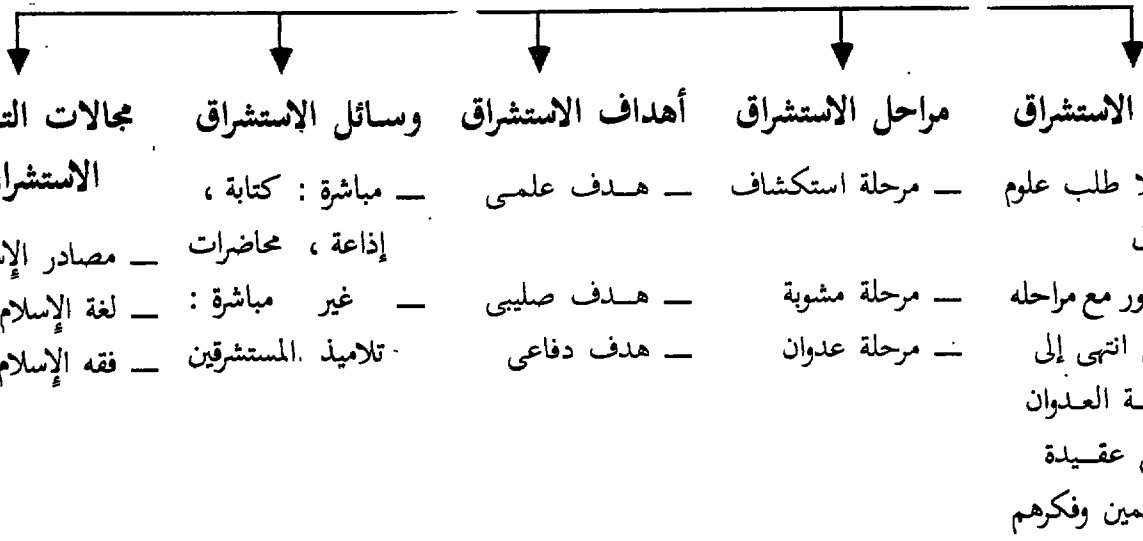

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

التبشير

تعريفه ونشأته :ـــ

١٣ ـــ التبشير .. من البشرى والبشارة ، مصدر لفعل : بشر ، أبشر ، بشر أى أخبر خبرا يؤثر فى البشرة ... وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن إلا أن استعماله الأكثر فى الفرح ، وقد يحمل استعماله فى الحزن معنى التبكيت ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [1] هذا معناه اللغوى ..

أما اصطلاحا .. فقد استخدم علما على تلك الحملة التى تولتها الصليبية فيما أسمى « بتعليم الدين المسيحى ونشره » .

وهو تعريف غير دقيق .. لأن التبشير حمل فى نفس الوقت أهدافا أخرى غير « تنصير غير النصرانى » وهو ماسوف نلمحه عند الكلام على مراحله بمشيئة الله تعالى .

١٤ ـــ أما نشأته .. فقد تأخرت عن نشأة الاستشراق وإن صاحبته وأثرت فيه وتعاونت معه .. كانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثا فى أحوال الغزاة الذين وصلوا إلى قلب أوربا ومن قبلها إلى الأندلس ، ثم صحب الحروب

---

(١) الانشقاق آية ٢٤ .

(١) مختار الصحاح ، الزبيدى تاج العروس ٣ / ٤٥ ، ابن فارس معجم مقاييس اللغة وقد قيل : عند الإطلاق لايعنى إلا الخير ، أما إذا أريد صرفه عن هذا المعنى فلابد من تقييده مثل قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) . وكان من أوائل من دعا إلى التبشير بدلا من الحرب ، القديس بطرس الراهب ، ثم أعاد البابا إبنوسنت الثالث سنة ١٢١٣ الدعوة للقضاء على ماأسماه ب « دعوة المسيح الدجال » ثم دعا الفيلسوف روجربيكون فى (١٢٦٦ ـــ ١٢٦٨) فى رسالة وجهها إلى البابا مقدما فيها بعض الاقتراحات (راجع المستشرقون فى الإسلام د / عرفان عبدالحميد ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصليبية خدمة لها وتبصيرا ، وتوجيها ، ثم كان بعد الحروب الصليبية كذلك ..

وهنا يلتقى التبشير مع الاستشراق .. لقد كان ميلاده مع فشل الحروب الصليبية تنفيذا لوصية قائد الحملة الثامنة « لويس التاسع » الذى نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية ووقوفها فى وجه أى زحف حربى مثيرة روح الجهاد فى سبيل الله ..

ومن هنا توجه التبشير .. إلى العقيدة ، محاولة لقتلها بالفكر والختل بعد أن عجزوا عن قتلها بالسلاح والفتك . [1] ، وآخاه الاستشراق .. فى أكثر ميادينه وفى أكثر مراحله ، وحماه الاستعمار العسكرى ، ومن قبله ومن بعده النفوذ السياسى .. الذى كثيرا مايعتمد على قبضة قوية من الداخل .

وسوف نبين مراحل التبشير .. كيف سار مع العقيدة مناورا كلما استعصت عليه .

مراحل التبشير :

١٥ ـــ مرت المحاولات التبشيرية بالمراحل الآتية :ـــ

المرحلة الأولى ـــ تنصير المسلمين :

وقد كشف ذلك بصراحة بعض المبشرين :

« إننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح » [2]

« إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية » [3]

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة » . [4]

---

(١) وهو ماأشار إليه صاحب كتاب ملخص تاريخ التبشير « إدوين بلس » وأشار إليه أ .ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى .

(٢) ويضيف المبشر رايد : ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة ، أنا لاأحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لى فى الإنسانية ، ولولا أنى أريد رجه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده (التبشير والاستعمار ـــ مصطفى الخالدى بالاشتراك ص ١٩٢) .

(٣،٢) أساليب الغزو الفكرى ـــ المؤلف بالاشتراك ، والكلمة الأولى للمبشر زويمر ، والثانية لويليم جيفورد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٦ ـــ ولانستطيع أن نفصل هذه المرحلة فصلا زمنيا تاما عما يليها من المراحل نظرا لأن ماساد فى المراحل التالية قد تواجد فى الأولى وماوجد فى الأولى قد تناثر فى المراحل التالية كذلك .. لكن يبقى أننا نفصل بناء على الحكم الغالب .

وإذا كانت بداية هذه المرحلة مع انتهاء الحروب الصليبية « التى استمرت قرنان من الزمان ١٢ ، ١٣ » . فإن تحديد نهاية هذه المرحلة تحديدا جازما غير مستطاع ، لكن أكبر الظن أنه كان مع انعقاد أول مؤتمر للتبشير فى القاهرة عام ١٩٠٦ م ، ونحسب كذلك أن سبب إنهاء هذه المرحلة كان إحصاء ثم أحصيت فيه الجهود والأموال والأشخاص ... فكانت حصيلة هذه الجهود التى استمرت سنين ، والتى أنفقت بضعا من الملايين ، وجند لها من الأشخاص المئون ... كانت حصيلتها تنصير عدد من الأشخاص « حوالى العشرين » ولما بحثت حالات هؤلاء الأشخاص وجد أن أكثرهم من اللقطاء الذين لم يجدوا بيئة إسلامية تعلمهم الإسلام أو تعودهم إياه .. والذين أحسوا بـ « الضياع » فتلقفهم من يخرجهم عن دين الفطرة .

وكادت تكون الحالة الوحيدة التى « تنصرت » بإرادتها هى حالة فتاة مسلمة ، تركت وطنها الإسلامى مع شاب نصرانى مخدوعة بأحاديث الهوى ومغرياته .... [1] ومع ذلك فقد عاد التبشير فى السنين الأخيرة إلى ممارسة نشاطه فى التنصير بصورة مكثفة وكتب له النجاح ـــ بكل أسف فى بعض المناطق . [2]

= بالكراف .

وفى كلمة لهنرى هاملتون تامس فى كتابه ثورة الهند الماجنية وسياستنا المقبلة عام ١٨٥٨ م وذلك إثر الثورة الإسلامية فى الهند عام ١٨٥٧ م « إن المسلمين لايستطيعون أن يكونوا رعية وفية الحكومة تدين بغير الإسلام لأن ذلك مستحيل فى ظل أحكام القرآن » (المشايخ والاستعمار ـــ حسنى جميل ـــ مكتبة المنار . الزرقاء ـــ الأردن) .

(١) نمسك عن ذكر اسم الفتاة حفاظا على اسم أسرتها ، وهى من أسرة عريقة مسلمة ، وكان والدها يحمل لقب (باشا) ويمثل مكانا بارزا فى أحد الأحزاب وفى بعض المناصب ولعل بيئات القصور تفرز هذا اللون من الفتيات إلا من رحم ربى ..

(٢) يقدر عدد المبشرين فى العالم الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مبشر منهم ١٣٨ ألف من الكاثوليك ، ٨٢ ألف من البروتستنت ، ومن بين هؤلاء وأولئك : أكثر من ٦٠٠٠ مبشر كاثوليكى ، ٢٢٠٠٠ بروتستنتى من الولايات =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرحله الثانية ـــ الخروج من الإسلام أو التذبذب فيه :

١٧ ـــ وقد بدأت نصحا أو تناصحا فيما بين المبشرين لما كادوا ييأسون ـــ من تنصير المسلمين

من أمثلة ذلك ماقاله المبشر كروفورد « فى مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ م » : « إن المسلمين يقتبسون من حيث لايشعرون شطرا من المدينة النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، ومادامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الاستعداد يتولد فيها عن غير قصد منها ... » ، وماقاله زويمر : « لاينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفى جعل الإسلام يخسر المسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلما وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحا أيها المبشر المسيحى ، ويكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا »

وأخير أعلنها زويمر الذى تولى كبر هذا الأمر وأسندت إليه زعامة المبشرين فى

= المتحدة الأمريكية وحدها ، ويتوقع علماء الإحصاء السكانى أن يشكل المسيحيون فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية عام ٢٠٠٠ ثلاثة أخماس مسيحى العالم فى حين أنهم يشكلون الآن ٤٧ ٪ فقط ، وفى إحصاءات قامت بها جهات رسمية عربية تبين أنه تم تنصير حوالى ٥٠٠٠٠٠٠ ملايين مسلم فى أندونيسيا ، ويقول البعض إنهم ١٠٠٠٠٠٠٠ عشرة ملايين .

ومن أسف أن نقرر أن أكبر هؤلاء تم تنصيرهم ـــ وفقا لما يقرره أبناء البلد ـــ بحفنات من الأرز لاتجدها العائلات الجائعة فى تلك البلاد ـــ بينمايمرض وأحيانا يموت كثيرون تخما من الطعام ، وبينما يلقى الكثيرون من المترفين فى قماماتهم ما يدفع الجوع والكفر عن أولئك البائسين (!) .

وفى مجلة الأمة القطرية (العدد ٢٦ ص ٩١ ـــ السنة الثالثة) : « إن جمعية الإنجيل فى بنجلاديش تخطط لطبع ٤٠ ر ٠٠٠ ألف نسخة من الإنجيل ، وصرح رئيس الجمعية بأنه تم بيع ١٩ ر ٠٠٠ ألف نسخة خلال ثلاثة أشهر من طباعتها .

وفى نفس العدد ص ٩٠ إشارة إلى ماتقوم به بعض المؤسسات التنصيرية فى الولايات المتحدة الأمريكية من جهود لتنصير اللاجئين الأفغان عن طريق أفغانى درس فى أمريكا يسمى (داس) خضع لمنهج تنصيرى مكثف إبان دراسته ، وهو يذيع أسبوعيا برنامجا عن التنصير (مرتين) من إذاعة سيكلزر عن طريق شبكة إذاعة الشرق الأدنى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م : « أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية ، واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق ، وإن كان ليخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه ، إننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة :

.. إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام .

.. أو رجل مستخف بالأديان لايبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

... وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية **ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية** ، فإن هذا هداية لهم وتكريما ، **وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله** ، وبالتالى « صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، وهذا ماقمتم به فى الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ماأهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية .. ونشرنا فى تلك الربوع مكامن من التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية ، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء ، **إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول فى الممالك الإسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد** .

انكم أعددتم شبابا فى ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ، ولايريد أن يعرفها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشىء الإسلامى طبقا لـما أراده له الاستعمار لايهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولايصرف همه فى دنياه إلى فى الشهوات ، وإذا جمع الـمال فللشهوات وإذا تبوأ أسمى الـمراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شىء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم الـمسيحية ورضى عنكم الاستعمار ، **فاستمروا فى أداء رسالتكم** فقد استحققتم بفضل جهادكم الـمبارك بركات الرب » .

١٨ ــ بماذا نخرج من هذا النص الخطير .. ؟

١) اعتراف بالعجز عن التنصير ــ فى قوله : « أقركم على أن الذين دخلوا حظيرة الـمسيحية لـم يكونوا مسلمين حقيقيين » .

وقوله : « لقد كانوا أحد ثلاثة : »

ــ إما صغير ..

ــ أو رجل مستخف بالأديان ..

ــ أو رجل « نفعى » .

٢) تركيزه على الـمهمة الـمركزة للتنصير ، وهى :

« إخراج المسلم من الإسلام » أو « ذبذبته » كما عبر النص الآخر ، وإن حاول ستر ذلك بأن تنصير الـمسلمين شرف لهم ، وأكدها مرة أخرى : « لقد أعددتم شبابا لايعرف الصلة بالله . .

٣) اعترافهم بالقبض على التعليم فى جميع الـممالك الإسلامية ، ولاندرى كيف تم ذلك ، مع وجود « الزعامات » الوطنية « الـمزعومة » ... ومع شعارات الاستقلال « الزائف » ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرحلة الثالثة :الإبعاد عن الإسلام :

« التغيير الاجتماعى [1]، التغريب ، التحديث »

١٩ ــ وهى مرحلة متداخلة مع المرحلة السابقة ، أحس فيها القائمون على التخطيط أن الإخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير ، لأنه يستوى فى حس المسلم أن يقال له : إنك صرت نصرانيا أو يقال له : إنك صرت مرتدا ..

ومن ثم كانت زحزحة عن الإخراج إلى الإبعاد ... ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفى أو الربعى ..

فبدلا من أن يقيم الصلوات جميعا .. فلا بأس أن يكتفى بالجمعة .. وبدلا من أن يصوم التطوع تدريبا وبعدا عن المثيرات .. فلا بأس أن يكتفى برمضان أو بجزء من رمضان ..

وبدلا من أن يأخذ ثقافته وفكره من النبع الصافى ، فلا بأس أن يصير « مودرن » يأخذ الفلسفة أو بعض الأفكار من هذا الفيلسوف أو ذلك ، ولابأس على الفتاة أن ترفع العباءة لتغطى نصف جسمها بدلا من جسمها كله ، ثم لا بأس أن تدفع بغطاء الرأس إلى نصف رأسها ، ثم لا بأس بعد ذلك أن تكشف جزءا من الساق

---

(١) وفى جريدة الرياض العدد ٥٩٥٢ (الثلاثاء ١٤ محرم ١٤٠٥ هـ ــ ٩ أكتوبر ١٩٨٤ م) كتب د. عبد المحسن محمد هلال تحت عنوان : « الجامعات والتغيير الاجتماعى » يقول : « نريدفى هذه العجالة أن نتعرض ولو ببعض رءوس الأقلام لمشكلة التعليم الجامعى ومدى مسايرته لهذا التغير الاجتماعى المحيط وتأثره أو تأثيره فيه ، ثم يقول عن السياسة التعليمية : « إن هذه السياسة يجب كذلك أن تكون متمتعة بقدر عال من المرونة بحيث تستجيب لمتطلبات العصر والتغييرات الاجتماعية » .

ثم يقول : « ومع اعتراف بأن التعليم يعتبر عاملا رئيسيا فى معدل الحراك الاجتماعى وفى إعادة توزيع الثروة ، وأنه يجب أن يكون متاحا للجميع فيما يسمى بديمقراطية التعليم إلا أن نوع التعليم المطلوب يعتبر العامل الأهم فى سلم الرقى الاجتماعى .

وفى نهاية المقال كلمة غريبة ليست لها صلة به تحت عنوان « خاتمة » نصها مايلى :

وأصبحنا غرباء	لاتدرى أملك ولاتملكين
وصرنا تقول لنا وكاتبين	واليوم لاأكون ولاكانين
ونحن رهينا المحبسين	غرباء أصبحنا .. تسحقنا أقدارنا والزمن اللعين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو جزءا من الذراع أو جزءا .. من الصدر ... ولابأس إن غادرت بلادها أن تلقى خلفها بزيها المتخلف لتبدو ــ مع الأوربية أكثر إثارة وأشد أناقة .

٢٠ ــ بيد أن ذلك كله أخذ طريقا مرسوما .. فى مجالات مختلفة . فى التعليم .. فى الإعلام .. فى تقاليد المجتمع .. وفى مفاهيم السياسة والحكم .

ولنلمس ذلك بشىء من التفصيل ، فإننا نحيل بإذن الله إلى ماسوف نعرض له عند الحديث عن العلمانية وآثارها فى المجتمعات « التعليم ــ الإعلام ــ الحكم » فضلا عن تأثيرها فى الأفراد ، وفى الدول. والله المستعان . (١)

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول (العلمانية) وراجع كذلك بحثا مطولا فى أساليب الغزو الفكرى ص ٤٥ ــ ٧٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

القهر السياسى .. يصحب الغزو الفكرى ويدعمه

تقدمة :

٢١ ـــ نعنى بالقهر السياسى .. ذلك التسلط المدعوم بالقوة من قبل السلطة السياسية ـــ شرعية كانت أم غير شرعية .

وقد بدا ذلك القهر واضحا إبان الحروب الصليبية التى صحبت الاستشراق أو صحبها الاستشراق ، والتى خلفت من بعدها التبشير .

كذلك بدا واضحا ذلك القهر إبان الغزو العسكرى للعالم الإسلامى الذى تبع الحروب الصليبية ببضع قرون ... والذى استمر فى العالم الإسلامى عدة قرون كذلك ... يرعى التبشير ويدعمه ، كما يرعى الاستشراق ويدعمه ، ويبدو التعاون بينهما واضحا فى عدة كتابات ، ومن تبعية المستشرقين وأكثر المبشرين لوزارات الخارجية المعادية .

هذا وذاك ... كتب عنه الكتاب . بيد أن مرحلة جديدة ... لم يكتب عنها ـــ فى ظننا ـــ إلا القليل وهى أخطر هذه المراحل لما تتسم به من الاستخفاء تحت أسماء المسلمين ، وتحت شعارات وطنية وأحيانا إسلامية ، ونشير ـــ بمشئة الله ـــ إلى المرحلتين الأوليين بإيجاز شديد ثم إلى المرحلة الأخيرة ببعض من التفصيل .

أولا : مرحلة الحروب الصليبية :ـــ

٢٢ ـــ استمرت الحروب الصليبية قرنان ...

ولسنا نسجل تاريخا ، ولكنا نستخلص من وقائع التاريخ حقيقة .. إن الهدف وراء تلك الحروب **كان هدفا صليبيا واضحا .. وذلك مايكشف عنه :ـــ**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١) **دعوة البابوات** إلى هذا الحروب ، ومشاركتهم فيها : فإن المؤرخين يسجلون أن أول من دعا إلى هذه الحروب كان البابا سلفستر الثانى عام ١٠٠٢ م، ثم تلاه البابا خريغوريوس عام ١٠٧٥ م ، وقد قامت الحروب بعد ذلك بعشرين عاما (١٠٩٧ م) .

وقد قاد بعض أولئك البابوات بعض هذه الحروب ، وشارك فى أكثرها « رجال » الدين المسيحى

وشارك كتاب النصارى ومفكروهم فى نفث روح الصليبية فى هذه الحملات .[1]

٢) ماكان يحدث فى هذه الحروب .. من إبادة للمسلمين ، بطريقة تنم عن الحقد ، ولايقتضيها مجرد الفتح ..

— فإن التاريخ يسجل أن الحملة الصليبية التى دخلت بيت المقدس ١٥ يوليو ١٠٩٩ م — (٢ رمضان ٤٩٣ هـ) وبعد أن انتهى إليها فتح البلدة .. راحت فانتهكت حرمة المسجد الحرام ... فى الشهر الحرام ... لتسيل الدم الحرام انهارا داخل المسجد ... حتى أن مؤرخيهم قالوا : لقد غاصت الخيل إلى صدورها فى دماء المسلمين (!!) حيث قتلوا ٧٠ ألف مسلم[2]، ولم يبق على أرض الأندلس إلا قتيل أو جريح أو مرتد عن دينه بعد هذه الفتنة الفظيعة ... ولم ينج من الموت هربا إلا القليل النادر .

٣) ماصرح به البعض منهم اعترافا بهذه الحقيقة ، فقد قال أحدهم « لقد خاب الصليبيون فى انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى .. والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة « القدس » بقدر ماكانت لتدمير الإسلام .

---

(١) راجع أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٦ .

(٢) جاردنر (عن التبشير والاستعمار فى البلاد العربية Gairdner ص ١٥ — د ٪ فروخ والخالدى ، دلرشتر Rither المكتبة العصرية — بيروت) .

راجع كذلك د. على عبد الحليم محمود فى بحث قيم مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامى عام ١٣٩٦ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤) مايصرح به القرآن ـــ وهو عندنا صادق ـــ عن أهداف الغزو الصليبى : ﴿ ولن ترضىَ عنك اليهودُ ولاالنصارى حتى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [١] ﴿ ولايزالونَ يُقاتِلُونَكُم حتى يَرُدُّوكُم عن دينكُم إن استطاعوا ﴾ [٢] .

٢٣ ـــ ومن ثم .. فإننا وإن كنا لانرفض الهدف الاقتصادى من وراء بعض هذه الحروب .. إلا أننا لانجعله فى المقام الأول كما يقع فى ذلك الكثير من المؤرخين والكتاب .

ومن ناحية أخرى نسجل ملاحظة البعض [٣] عن التعاون اليهودى النصرانى فى هذه الحروب .. الأمر الذى لانستبعده فيما سبق حيث كشف لنا القرآن الكريم عن طبيعة اليهود ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا ﴾ [٤]، وحيث أكد التاريخ والواقع هذه الطبيعة ، كما أكد التعاون الحديث بين الصليبية والصهيونية احتمالات التعاون القديم .

٢٤ ـــ كذلك نشير إلى أن هذه الحروب الصليبية لم ترتد إلا بعد هزيمتها النكراء التى تمثلت مع الحملة التاسعة فى أسر قائدها لويس التاسع ملك فرنسا فى دار ابن لقمان بالمنصورة « فى مصر » وبقائه فى الأسر فترة ... الأمر الذى نبه معه بعد إطلاقه إلى عدم جدوى الصدام العسكرى مع المسلمين ، ونادى معه بالغزو الفكرى لهم فى عقيدتهم وأخلاقهم وأفكارهم .

ثانيا : مرحلة الاحتلال العسكرى للبلاد الإسلامية :ـــ

٢٥ ـــ باتت أوربا تجتر هزيمتها العسكرية فى الحروب الصليبية بضعة قرون ... لكنها كانت تمارس فيها الغزو الفكرى على الصورة التى أشرنا إليها ، ثم عادت مع بداية القرن السابع عشر إلى التفكير العسكرى كقوة ضاغطة وحامية وداعمة لذلك الغزو الفكرى ثم لتحقيق أهداف اقتصادية واضحة ... ظهرت فى نزيف المواد الاقتصادية من البلاد الإسلامية وغيرها ... إلا بلاد الغرب .

---

(١) البقرة آية ١٢٠ .

(٢) البقرة آية ٢١٧ .

(٣) أشار إلى ذلك وليام غاى كار ـــ فى كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج » .

(٤) المائدة آية ٦٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٦ ــ وقد شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ذروة هذا الغزو العسكرى على النحو التالى اقتساما بين الدولتين الأعظم « فى ذلك الحين » فرنسا وانجلترا :

فرنسـا	إنجلـترا
احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ م (١٢٤٦ هـ)	احتلال الهند عام ١٨٥٧ م (١٢٧٤هـ)
احتلال تونس عام ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ)	احتلال مصر عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠هـ)
احتلال مراكش عام ١٩١٢ م (١٣٣٠ هـ)	احتلال العراق ١٩١٤ م (١٣٣٢هـ)
احتلال الشام عام ١٩٢٠ م (١٣٣٨ هـ)	احتلال[1] فلسطين ١٩١٨ م (١٣٣٧هـ)

وقبلها كانت غارات الأسطول البرتغالى على السواحل الإسلامية ، وأعقبها فى أوائل القرن السابع عشر الـميلادى استيلاء هولندا على جزر الهند الشرقية .

٢٧ ــ ولم ينج من الاحتلال العسكرى فى العالم الإسلامى فى هذه الفترة إلا بلدان هما الجزيرة العربية ، وأفغانستان .

أما الأولى ... فأغلب ظنى أنها حماية ربانية للحرمين الشريفين ، فضلا عن عدم اكتشاف أية موارد « اقتصادية » فى الجزيرة العربية فى ذلك الحين .

وأما الثانية ... فقد كانت لبسالة الشعب الأفغانى ، وتكسر جيوش الاحتلال على رماح الـمقاومة الإسلامية أكثر من مرة فى ١٨٣٨ ــ ١٨٤٨ م

١٨٧٨ ــ ١٨٨١ م ١٩١٩ ــ ١٩٢١ م

كان نصر الله للأفغان المجاهدين ضد المحاولات الإنجليزية لاحتلال أراضيهم صادا لهم عن هذه المحاولة مرة أخرى ... ولم يسقط فى هذا الشرك إلا « الدب الروسى الغبى » فى الفترة الأخيرة .

---

(١) وقد تخلل ذلك الاتفاق الودى الذى جرى بين الدولتين الأعظم فى ذلك الحين (فرنسا وانجلترا) عام ١٩٠٥ م والذى اتفقا بمقتضاه على توزيع أسلاب العالم الإسلامى على النحو الذى نراه فى المتن !! وهو يذكرنا بالوفاق الذى جرى حديثا (فى الستينات) بين كل من الولايات المتحدة الأمريكيةوالاتحاد السوفيتى !! لم يزعمون أنهم يساعدون على تحرير الشعوب !! .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٨ ــ وقد صحب التبشير والاستشراق ذلك الغزو العسكرى .. وبقى مابقى الاحتلال بل وبعد أن رحل الاحتلال ، على ماسنشير بمشيئة الله .

٢٩ ــ كذلك ظهر « الاستغلال الاقتصادى » واضحا إبان فترات الاحتلال العسكرى .. بما يشير إلى بروز ذلك الهدف كأحد الأهداف الر ئيسية ..

وبدا أن العالم الإسلامى صار .. مجرد مزرعة كبيرة تدر الخيرات على أبناء الحضارة الأوربية الحديثة وتدر معها « المواد الخام » اللازمة للصناعة الغربية وللتقدم « التكنولوجى » .

كذلك بدا العالم الإسلامى « سوقا استهلاكية » رائجة لتصريف البضائع الغربية ولتحقيق أفحش الكسب منها .

٣٠ ــ وأخيراً .. كانت ضربة إلغاء الخلافة الإسلامية إبان ذلك الاحتلال العسكرى البغيض لأطراف العالم الإسلامى . وهى مانفرد لها كلمة رغم دخولها فى هذه الفترة الثانية .

إسقاط الخلافة الإسلامية

٣١ ــ مرت مأساة إسقاط الخلافة الإسلامية فى رأينا بمراحل ثلاثة :ــ

الأولى : وهى المعاصرة لفترة الغزو الإسلامى الذى كانت قمته فتح الأندلس ثم فتح القسطنطينية .. وفى الفترة التالية للفتح الأخير كانت اجتماعات الساسة فى أوربا لبحث « المسألة الشرقية » تعنى محاولة الوصول إلى حل « لوقف الزحف الإسلامى » على قلب أوربا .

الثانية : وكانت فى فترة انحسار الفتح الإسلامى وبداية تضعضع دولة الخلافة وكان بحث « المسألة الشرقية » يتجه إلى كيفية تقطيع أوصال دولة الخلافة وإضعاف كيانها ، وقد سلك فى سبيل ذلك مسالك عدة :

١ ــ احتلال أراضى تابعة لدولة الخلافة ، وقد أشرنا إلى تواريخ وأسماء البلاد الإسلامية التى تم احتلالها عسكريا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـــ إشاعة الانحلال ومايتبعه من غزو عقدى واجتماعى وفكرى ، وإلى هذا تشير واقعة احتلال الشام إذ كان مع البوارج الزاحفة صوب شواطىء الشام بارجة تحمل « مومسات » [١] وقد سئل القائد العسكرى للحملة ، فأجاب أن أثر تلك البوارج سيزول « مشيرا إلى البوارج الحربية » أما أثر هذه البارجة فلن يزول .

٣ ـــ إشاعة العصبية القومية داخل دولة الخلافة ، بإشاعة القومية الطورانية داخل تركيا ، وقد تولى كبرها حزب الاتحاد والترقى ، وإشاعة القومية العربية فى البلاد العربية وقد تولى كبرها فى أكثر الأماكن أشخاص ينتمون إلى غير عقيدة المسلمين .. ألفوا أحزابا تحمل هذا الفكر . [٢]

الثالثة : فترة الإجهاز على دولة الخلافة :

وقد سبق ذلك إعداد « البطل الذى سيقوم بهذه المهمة حتى تتقبل الجماهير فعلته ، كما سبقها احتلال أجزاء من تركيا بعد استدراجها إلى الحرب العالمية الأولى حليفة لألمانيا(!) وسبقها أخيرا إعداد سياسى خارجى فى اجتماعات لبحث « المسألة الشرقية » للإجهاز على « الرجل المريض » يقصدون دولة الخلافة ، ثم لتوزيع أسلابه وميراثه . وفى يوم أسود كسواد الليل . مظلم كظلامه .. أعلن .. البطل « **مصطفى كمال أتاتورك** » عن إلغاء الخلافة الإسلامية فقطع الشجرة أحد أعضائها كما كانت الوصية .

وكانت الفجيعة قاسية على قلوب المسلمين .. ذرفوا معها الدموع ، وحاولوا أن يبذلوا الدماء فلم يستطيعوا .. وقام القهر السياسى الداخلى فى تركيا متمثلا فى حملات من القمع الدموى ، وقام قهر الاحتلال العسكرى فى سائر البلاد الإسلامية ، وبخاصة فى مصر والهند .. حائلا دون تحرك إيجابى لإنقاذ الخلافة أو

---

(١) إسم للساقطات اللائى يمارسن فاحشة « البغاء » .

(٢) نذكر على سبيل المثال اسماء : ميشيل عفلق (زعيم حزب البعث العربى الاشتراكى) ، انطون سعادة (زعيم القوميين السوريين) ، جورج حبش ، قسطنطين زريق .. وقد تبعهم جمال عبد الناصر وكان أكبرهم دعاية للقومية العربية وتضليلا لشعوبها ، ولئن حمل الأخير اسما إسلاميا فلقد كان أشدهم على الله ورسوله ودينه !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إعلانها فى مكان آخر .[1]

٣٢ ـــ ويبقى بعد ذلك السؤال ..

هل كان إلغاء الخلافة داخليا ؟ أم كان جزءا من مخطط معاد للإسلام ؟ والإجابة على ذلك تقتضى تقديم الوثائق ، وقد يتم فى وقت ماالعثور على مثل هذه الوثائق ، لكننا نقدم « قرائن » إذا تجمعت قوى بعضها بعضا ، فكان لها من أثر الإقناع ماليس لواحدة منها متفردة .[2]

نقول بعون الله .

١) فى عام ١٩٠١ م كتب العالم الروسى سرجى نيلوس بعد اطلاع على « بروتوكولات حكماء صهيون » : « إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى فلسطين لابد أن تمر بالأستانة » وبعد ثلاثة وعشرين عاما مرت الأفعى بالأستانة ، وبعد أربع وعشرين عام أخرى مرت بفلسطين .
أكانت صدفة ... أم كانت تخطيطا وتدبيرا وتنفيذا .؟

٢) قبل عزل السلطان عبد الحميد بفترة بسيطة تقدم زعيم اليهود فى سالونيك المدعو قرصو « زعيم يهود الدونمة » بطلب إلى السلطان عبد الحميد لمنح اليهود بعض الامتيازات على أرض فلسطين ،، وفطن السلطان المسلم ورفض .. وقيل إنه بصق فى وجه قرصو ، ويومها قال له قرصو : « ستعلم كم يكلفك هذا الرفض » .
وبعدها بفترة قصيرة كان أحد ثلاثة يقدمون إلى الخليفة خطاب العزل .

---

(١) فى مصر دعا علماء الأزهر إلى مؤتمر لمناقشة قضية « إلغاء الخلافة » واستنكروا ذلك ، وأعلنوا عدم شرعية قرار إلغاء الخلافة ، ودعوا إلى مؤتمر ثان لإقامة الخلافة ومبايعة خليفة جديد ... وانعقد المؤتمر الثانى لينفض بغير قرارات بعد تدخل الاحتلال العسكرى الجاثم على أرض مصر .
وفى الهند ـــ جاء أبناء الهند إلى تركيا يحملون إلى سفاحها هدايا « المال » وغيره ويرجونه إبقاء الخلافة مع استعدادهم لمبايعته خليفة للمسلمين ، لكن الصفقة كانت قد تمت ، فأبى طاغية تركيا الرجوع فيها (راجع د / محمد محمد حسين ـــ رحمه الله ـــ: الاتجاهات الوطنية فى أدبنا المعاصر) .

(٢) يقول الإمام الشاطبى فى الموافقات ج ١ : « إن للاجتماع ماليس للتفرق » إستدلالا على أن مجموعة أدلة ظنية ترتفع بالدليل إلى درجة القطع واليقين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣) وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وشروط كبروزون عام ١٩٢٤ لاستقلال تركيا :ـــ

أ ـــ قطع كل صلة بالإسلام .

ب ـــ إلغاء الخلافة .

جـ ـــ إخراج أنصار الخلافة .

د ـــ اتخاذ دستور علمانى .[١]

٤) دراسة تاريخ حياة مصطفى كمال واتصالاته المشبوهة ، ومافعله عندما أحس بقرب منيته إذ أرسل إلى سفير بريطانيا فى تركيا يعرض عليه أن يستعمل سلطته الدستورية فى اختيار خلفه ، وذلك بترشيح ممثل« بريطانيا العظمى » خليفة له فى حكم تركيا بعد موته ، باعتبار ماأحسه فيه من « أمانة » لم يستشعرها فى الآخرين !

٥) استمرار حرب فكرة الخلافة ، ومن يعتنق إعادتها حتى اليوم ، وتعرض الجماعات والتجمعات الإسلامية التى استوعب فكرها هذه الفكرة ـــ تعرضها للإبادة على أيدى الحكام العسكريين للبلاد ـــ الإسلامية .

وقيام عدد كبير من الكتاب أصحاب « الفكر المشبوه » و « الاتصالات » « المشبوهة » قيامهم بمحاربة فكرة الخلافة ، ونقل فكرة فصل الدين عن الدولة رغم تعارضها مع الفكر الإسلامى الأصيل ، ومع تاريخ المسلمين الناصع ، البعيد فى مجموعه عن التعصب والانحراف .

وسوف نولى هذه النقطة مزيدا من التوضيح عند الحديث عن المرحلة الأخيرة فى الحديث عن العلمانية بمشيئة الله .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى أساليب الغزو الفكرى ـــ المرجع السابق ص ٣٧ ـــ ٤٣ والمراجع المشار إليها .

(٢) راجع « الرجل الصنم » لمؤلف تركى (لم يذكر اسمه خوفا من تطبيق النص الذى يعاقب على التعريض بمصطفى كمال حتى بعد هلاكه بخمسين عاما ، وهو نص لايوجد له مثيل فى دول العالم (!!) ـــ نقلا عن جريدة الأهرام التى نقلتها عن Sunday Times ١٥ / ٢ / ١٩٦٨ (الموافق ١٦ ذى القعدة ١٣٨٧ هـ) تحت عنوان كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه فى رئاسة الجمهورية التركية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : مرحلة الانقلابات العسكرية :ـــ

٣٣ ـــ وهى تبدأ زمنيا مع منتصف القرن العشرين «تقريبا » ، وتبدأ حَدَثيا « اشتقاقا من الحَدَث » مع ظاهرتين هامتين .

أولهما : شيوع « موضة » الانقلابات العسكرية فى المنطقة .

ثانيهما : تخلى كل من بريطانيا وفرنسا عن مستعمراتهما ، لسوء أحوالهم الاقتصادية وطلب الأولى إلى الولايات المتحدة أن ترث النفوذين البريطانى والفرنسى فى المنطقة .(١)

٣٤ ـــ ويظهر على هذه الفترة الملامح الآتية :

أولا : اختفاء الاحتلال العسكرى الأجنبى : وقد كان هذا الاختفاء راجعا فى بعض الأحيان إلى أسباب اقتصادية ، لكنه فى رأينا راجع فى الأرجح إلى وجود البديل الذى يوفر الأنفس والأموال التى كان يقتضيها بقاء الاحتلال الأجنبى ـــ وكثيرا مايقترن اختفاء الاحتلال بهالة من البطولة تضفى على النظام الجديد . بيد أن لنا أن نسجل على هذه القاعدة بعض الاستثناءات .

أ) حدوث بعض ألوان الغزو العسكرى الخارجى ، مثل ماحدث للبنان عام ١٩٥٨ من نزول مشاة الأسطول السادس الأمريكى ، وماحدث لها عام ١٩٨٣ من غزو « متعدد الجنسيات » سبقه عدوان يهودى عسكرى آثم ـــ ومثل غزو جزيرة جرينادا من قبل القوات الأمريكية عام ١٩٨٣ .

ب) حدوث بعض الحروب المحلية كوسائل ضغط لحساب القوى الدولية العظمى ، مثل حرب إيران والعراق الدائرة .
وقبلها حرب الهند مع باكستان الذى نجم عنها فصل باكستان إلى دولتين ، ومثل التدخل السورى الليبى ضد قوات منظمة فلسطين فى لبنان عام ١٩٨٣ .

جـ) استخدام المنظمات الدولية غطاء للتدخل العسكرى ، ومحاولة فرض الحلول

---

(١) الفصل الأول من الباب الأول (تأثير العلمانية فى الأفراد كوك ، مصطفى كامل) أساليب الغزو الفكرى ـــ للمؤلف بالاشتراك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن طريق قوات « البوليس الدولى » أو القوات المتعددة الجنسيات الخاضعة للأمم المتحدة. إلخ وقد تكرر ذلك إما بناء على طلب أحد الأطراف ، أو بناء على اقتراح دولى تتبناه الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .

ثانيا : ظهور الانقلابات العسكرية وانتشارها ، وكان أول انقلاب عسكرى ابتليت به المنطقة هو عام ١٩٠٨ فى تركيا ، وكان أول انقلاب بعد المرحلة الجديدة هو انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا عام ١٣٦٨ هـ ـــ ١٩٤٩ م ثم تلته سلسلة انقلابات كان أهمها وأخطرها الانقلاب العسكرى فى مصر عام ١٩٥٢ م (١٣٧٣ هـ) ويقترن الانقلاب العسكرى إما بإزالة لنظام سلطت الأضواء على عيوبه حتى كشفت ومن ثم يبدو الانقلاب إنقاذا للبلاد من الفساد ، والخراب ، والطغيان .. إلخ وإما بإظهار مواهب صاحبه ... وبطولته وزعامته ... وحرصه على مصالح الشعب وإن عجزوا عن البطولة الخارجية بإخراج مستعمر أو قوات احتلال ، فإنه يضفى عليه بطولات داخليه أخرى باعتباره زعيم تحرر ... إلخ .

وكثيرا ما يكون الانقلابات ... مجهولى الهوية ... وأحيانا مجهولى النسب مما يساعد على تقبلهم للدور الذى يطلب إليهم بما لا يتقبله الأصلاء « حتى ولو لم يكونوا مسلمين » .

ثالثا : يلاحظ على هذه الانقلابات بصفة خاصة :

أ) أنها أدت من ناحية الغزو الفكرى للعالم الإسلامى « خاصة » أضعاف ما أدته جيوش الاحتلال الأجنبية ، إذ أعطت القدوة السيئة من قادتها ، فضلا عن أنها مكنت للغزو الفكرى خلال وسائل الإعلام وبرامج التعليم ، وأنظمة الحكم ..

ب) أنها مكنت لدولة اليهود من القيام ، ثم مكنتها من التوسع « خلال حربين عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ » ، وأخيرا أضفت عليها الشرعية بعقد الصلح معها وهو أمر كانت تهدف له دولة اليهود خلال الثلاثين عاما المنصرمة ولم يكن هناك من يتشجع للإقدام عليه .

جـ) أنها حاربت الحركات الإسلامية بأقسى مما حاربها به جيوش الاحتلال الأجنبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع استخدام تمثيليات محاولة الاغتيال ، أو التآمر أو الاتصال بدولة أجنبية ... و « طبخ » القضايا ، أو تلفيقها ، والإلقاء بزعماء الحركات الإسلامية وأبنائها فى السجون والمعتقلات مع مايتعرضون له من تعذيب وتقتيل وتشريد . (١)

٣٥ ـــ وليس معنى ذلك أننا نزكى « الأنظمة الأخرى » إنها تقوم بدورها ولكن على استحياء من ناحية ، وبغلظة أخف من الأنظمة العسكرية من ناحية أخرى .

ولقد نصحت بعض هذه الأنظمة بالتهدئة من « التحديث » مخافة ردود فعل عنيفة قد تفوت الغرض المطلوب .

ومع ذلك فلا تزال هذه الأنظمة عرضة للتغيير إلى أنظمة عسكرية عندما يتهيأ الجو للأخيرة للانقضاض .

(١) أفضنا الحديث فى (أساليب الغزو الفكرى) ، (دعاة لابغاة) ، (عندما يحكم الطغاة).. للمؤلف . وراجع مذكرات الداعية الإسلامى الكبير ـــ عمر التلمسانى » ـــ منشورة بالشرق الأوسط وفى مجلة (جويش كرونيكل فى الأسبوع الأول من كانون الثانى فبراير ١٩٧٩ م) قالت فى مقالها الافتتاحى تحت عنوان « الجهاد فى سبيل الله » إن على خبراء الاستراتيجية السياسية فى بلدان الحضارة الغربية وفى بلدان المعسكر الشيوعى أن ينتبهوا جيدا للأخطار التى تمثلها الحركات الإسلامية المتعصبة لجماعات الإخوان المسلمين المنتشرة فى كل البلدان العربية ومعظم البلدان الإسلامية ، والتى تهدف إلى إحياء نظرية الجهاد فى سبيل الله من جديد ، والتى تكافح بشدة لإقناع العرب والمسلمين بالعودة إلى تعاليم الإسلام من جديد .
نشرت وسائل الإعلام المختلفة ـــ تصريحات لوزير الخارجية الأمريكى الكسندر هيج فى ١٧ / ٢ / ١٩٨٣ يقول فيه : « إن القضية الملحة والأكثر خطورة هى نتائج التطرف الإسلامى الذى يسود الدول العربية ، ويؤثر على استقلالها ، وإذا خرج عن السيطرة فإنه سيضر بمصالح الدول الكبرى أيضا » ... ولاندرى بمنطق أولئك المتحضرين .. ألا يعد ذلك تدخلا فى الشئون الداخلية لدولة ذات سيادة .. الأمر الذى تمنعه المواثيق الدولية ؟! .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

الاتجاه الفكرى الغربى

- العلمانية - الديمقراطية - الرأسمالية - الوجودية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول
الاتجاه الفكرى الغربى

تمهيد :

٣٦ ـــ نتيجة التكوين البشرى من مزيج روحى ومادى ..

ونتيجة لضعف أثر « الدين » فى النفوس .. الذى كان يمكن أن يرفع من الجانب الروحى .. ونتيجة لظروف عديدة سوف نشير إليها فيما بعد . (١)

* * انحدر الفكر الغربى والشرق ـــ بصفة عامة ـــ إلى الصبغة المادية .

ـــ أثر فيه فكريا « فلسفيا » أمثال **ديكارت** واضع منهج البحث الاستنباطى ، و**فرنسيس بيكون** صاحب المنهج التجريبى ، و**كومت** مؤسس المذهب الوضعى .

ـــ وظهر نتيجة ذلك فى أمريكا مذهب « البراجماتزم » أو المذهب الوضعى .

ـــ وأسهم « فيورباخ » بماديته ، « وهيجل » بجدليته فى ظهور « الفكر الماركسى » وصار من شعاراته : لا إله والحياة مادة » .

ـــ وكان الفكر « اليهودى » استمدادا من مصادره المحرفة « التوراة ، التلمود البروتوكولات » قائما كذلك على المادة ، « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » ، وفى ظننا أنه سابق على الفكرين السابقين ، ومن ثم فلايستبعد تأثيره عليهما ، فضلا عن الدلائل والقرائن التى تشير إلى هذا التأثير .

* * واستطاع البعض أن يقسم علميا التفكير المادى إلى إتجاهين :

ـــ الاتجاه الميكانيكى Mechanistic Materialism وهو اتجاه مادى صرف لايعترف بمكان « للروح » أو تأثير لها على الجسم .

ـــ الاتجاه الديالكتيكى DialecticMaterialism ، وهو قائم على المادة وإن اعترف بوجود العقل والروح فإنه يجعل لهما التبعية للمادة (٢)

** ويظهر للباحث المدقق ـــ بغض النظر عن تطرف البعض فى التعليل ـــ أن ثمة رابط بين شيوع الفكر المادى فى الغرب ، وشيوعه فى الشرق الشيوعى ، ووجوده فى

---

(١) سوف نشير إليها بمشيئة الله عند حديثنا عن العلمانية .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى ـــ د / محمد البهى ـــ رحمه الله ص ٨٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقل اليهودى .

ولقد يذهب البعض إلى القول بأن اليهود وراء كل شيء .. [1]
ولقد يذهب فريق آخر إلى النقيض من ذلك ..

لكننا نقول بعون الله .. إن هذا التشابه يعنى ثمة رابط ، وإن سبق اليهود فى الفكر المادى يعنى ثمة تأثير .. لكننا ـــ علمياً ـــ لانذهب إلى أبعد من ذلك ، حتى لانقع فى التهويل [2] فضلا عن رفضنا « التهوين » . [3]

٣٧ ـــ قد يجمع البعض الحديث حول هذه « المذاهب » الفكرية المختلفة : **العلمانية ـــ الرأسمالية ـــ الديمقراطية ـــ الوجودية** ، دون ماإشارة إلى الجامع بينها .

وقد يدرسها البعض الآخر متفرقة دون ماجمع بينها ... فيتحدثون عن العلمانية « كمذهب فكرى ، وعن الرأسمالية كمذهب اقتصادى ، وعن الديمقراطية كمذهب سياسى ، وعن الوجودية كمذهب اجتماعى ... فيبدو كل مذهب مستقلا عن الآخر !

لكنا نرى أن الجامع بينها :

١ ـــ أنها نشأت فى محضن واحد .

---

(١) يذهب هؤلاء ـــ وهم أكثر المفكرين المستمسكين بالإسلام ـــ إلى أن اليهود وراء الفكر الشيوعى ، والثورة الشيوعية ، كما أنهم وراء الفكر الغربى المادى ، ووراء الثورات التى نجحت نتيجه له ، ويقدمون البراهين من نصوص البروتوكولات وغيرها من مصادر الفكر اليهودى ...

(٢) فى هذا المعنى يقول الأستاذ أنور الجندى فى كتابه « سقوط العلمانية » .. يتبين تماما أن الدعوة العلمانية هى نتاج يهودى تلمودى أصيل كان له أبعد الأثر فى الفكر الغربى (ص ١٧ ـــ الناشر : دار الكتاب اللبنانى . بيروت) .

(٣) قريبا من هذه النظرة المتعلقة لدور اليهود ، وجدنا الأستاذ محمد قطب فى أكثر من موضع يشير إلى هذا المعنى « هناك واتت الفرصة المرتقبة منذ قرون ، لا لأن اليهود دبروا الأحداث كما يزعمون فى البروتوكولات .. ولا لأن تراكم التخطيط عبر القرون قد آتى ثماره آخر الأمر كما يرى أمثال وليم كار فى كتاب الأحجار ، ولكن لأن أوربا هى التى استحمرت نفسها لشعب الله المختار حين فرت من الدين كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » ص ٨٥ ـــ المرجع السابق ص ٨٣ ، وص ٨٧ وصفحات أخرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ــ أنها صَدَرت أو صُدِّرت عن هذا المحضن الواحد لتعتنقها مساحة من الأرض واسعة !

٣ ــ أنها فى حقيقتها .. متفرعة عن نبع واحد .

فالعلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وقيام الأخيرة على أساس مادى .

والرأسمالية تعنى مذهبا اقتصاديا يقوم على احترام الملكية الفردية ، ويطلق الحرية للمادة لتتعامل وتتفاعل اقصاديا وفقا لقوانين العرض والطلب .

والديمقراطية : مذهب سياسى يعنى أن كل شىء بالشعب كما يدعون .

والوجودية : مذهب اجتماعى مؤسس على إبراز قيمة الوجود الفردى .

ومع شىء من التعمق فى هذه المذاهب نلمس أنها جميعا تستند إلى أساس مادى ، وهى جميعا مردودة إلى : مايسمى بالمذهب الفردى Individualisme وذلك مقابل المذهب الجماعى Socialism وكلاهما قائم على أساس مادى .

ونتحدث بتفصيل عن هذه المذاهب .. لاباعتبار استقلال كل منها عن الآخر ولكن باعتبارها وحدة واحدة تشكل فى الواقع « العقد » الفكرى للغرب الحديث ، ثم لنبين تأثيرها المباشر أو غير المباشر العمدى والعفوى فى تشكيل « الفكر الإسلامى الحديث » إن صح التعبير .. أو بعبارة أخرى أصح : عدوانها على الفكر الإسلامى الأصيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول
العلمانية

٣٨ ـــ **العلمانية** .. أسبق على الديمقراطية والوجودية .. وقد تكون مصاحبة للرأسمالية .

ذاك مايكشف عنه تاريخ نشأتها ، وهى تشكل « العقل الغربى الحديث » منذ قدر له أن ينتصر فى مجال الصراع مع الفكر الدينى السابق عليها .

وهى وإن انتقلت إلى العقل « الشرقى » أو « الإسلامى » عمدا أو عفوا فقد بقيت فى صياغتها وأصالتها غربية ، وهى كذلك غريبة ، فهى بمثابة « عضو غريب » يزرع فى جسد حى آخر .. والجسد وإن قاوم « العضو الغريب » إلا أنه مع الزمن من ناحية ومع الإضعاف المتعمد المتوالى لعنصر المقاومة ، فإن الجسد يستسلم أخيرا للعضو الغريب ، ويقبل التفاعل والتعامل معه [1] ، ولقد يكون « علميا » أن نبدأ بالتعريف .. لكننا نجد الأولى علميا أن نتكلم عن النشأة .. فهى التى ستحدد التعريف ومن ثم فقد رأينا أن نتناول المباحث التالية بإذن الله :

المبحث الأول : **ظروف نشأة العلمانية .**
المبحث الثانى : **ظروف انتقالها إلى الشرق الإسلامى .**
المبحث الثالث : **تعريفها وترجمتها .**
المبحث الرابع : **مجالات عملها أو تطبيقها .**

---

(١) من الخواص « البيولوجية » أن الجسد يرفض زرع عضو غريب فيه ، لذا يلجأ « الطب » إلى وسائل عديدة لإضعاف مقاومة الجسد لتقبل العضو الجديد .. ! وهو مايحدث من الغزو الفكرى للعالم الإسلامى !! .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« المبحث الأول »

ظروف نشأة العلمانية

توطئة :ـــ

٣٩ ـــ « لكل فعل رد فعل مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه » .

هذا القانون يعمل فى مجال الطبيعيات .. [١] وهو موضوع أصلا لهذا المجال ، لكننا كان لنا شرف اكتشافه كذلك فى مجال « القيم والمبادىء » ! وهو قد يعمل فى المجال الأخير ـــ فى رأينا ـــ بقوة أشد تؤدى إلى التغيير ، وقد كان لنا شرف تطبيقه كذلك فى مجال الحركات الإسلامية [٢] .وإن رأينا تعديله فى هذا المجال ، أى : « مجال الحركات الإسلامية » إلى « لكل فعل رد فعل أكثر منه قوة وأكثر إسراعا ضد الاتجاه ، ويؤكده قول الله تعالى : ﴿ فأما الزبَدُ فيذهَبُ جُفاءً وأما ما يَنْفَع الناسَ فيمكُثُ فى الأرضِ »[٣] وقوله : ﴿ بل نَقْذِفُ بالحقِ على الباطلِ فيدمَغُهُ فإذا هو زَاهِق ﴾ .[٤]

وسندنا فى ذلك الواقع الذى يصير النظريات والافتراضات إلى حقائق مسلمة [٥] وانتصار « الأصلح » مبدأ لايمكن تصوره إلا إذا كان أكثر قوة وأكثر

---

(١) من تطبيقاته فى هذا المجال : فى المجال الحيوى مسارعة كرات الدم البيضاء إلى عملية دفاعية مضادة إزاء أى غزو جراثيمى .. ومن تطبيقاته القرآنية ﴿ جزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » « كذلك يضرب الله الحق والباطل » .

(٢) راجع مؤلفاتنا السابقة .. وفيها حذرنا القائمين على الأمور من استمرار اضطهاد الحركات الإسلامية .. لما سيؤدى إليه من « انفجار » ثورات إسلامية تطيح بالأوضاع القديمة ، وقد صدقنا ربنا فى مجالات ، وما زلنا فى انتظار المجالات الأخرى ! .

(٣) الرعد آية ١٧ .

(٤) الأنبياء آية ١٨ .

(٥) وإلى هذا المعنى يصل أحد المستشرقين حين يقول : « إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة ، فهى تتفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أمارائها مايدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها (وجهة الإسلام د. جب ص ٣٦٥) .فالحركات الإسلامية لاينقصها إلا وجود الزعامة وإلا ظهور صلاح الدين من جديد (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ـــ ج ٢ ص ٢٢٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إسراعا فى الاتجاه .. قد يكون ظاهره أنه أضعف قوة ، وأضعف سرعة .. لكن النتائج تؤكد غير ذلك ..

أما فهم الفرق بين الظاهر وبين النتيجة فإنها ترجع إلى عاملين :

أ) **العامل الداخلى المعنوى** .. الذى يجعل صاحب الحق أكثر استمساكا ، وأطول صبرا ، وأشد تضحية !

ب) **العامل الربانى** .. وهو مانؤمن به ، وقد لايؤمن به غيرنا ، من أن الله سبحانه يتولى عن« المؤمنين المعركة ويضمن لها النتائج » .. ﴿ ومانالنَّصْرُ إلا من عند الله ﴾[1] ، ﴿ فلم تَقْتُلوهُم ولكنَّ الله قَتَلهُم ، ومارَمَيْتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى ﴾[2]

٤٠ ــ تلك مقدمة رأيناها لازمة ونحن نتحدث فى مجال الأفكار والمبادىء لنصل منها إلى أن « الأفعال » Actionsالتى وقعت فى أوربا أحدثت « الردود » Reactions التى وقعت بعدها ... وكان من نتائجها « العلمانية » و « الشيوعية » [3] وغيرها من الأفكار ونبادر فنحذر أن يظن بأن هذه الردود كانت أفضل من الأفعال ..

فكلاهما سيء .. لكن السيء إذا وقع أدى ــ فى غير المجال الإسلامى ــ إلى الأسوأ .. وهذا ماوقع ..

لقد عاشت أوربا ظروفا « دينية » ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، سيئة فى القرون الوسطى ، فلما أطل « عصر النهضة » كان الإفراز فى مجال المبادىء « أسوأ » بغض النظر عن الحضارة المادية ، التى قد تبدو لأول وهلة نصرا أو انتصار !

ونحن نعرض ــ بإيجاز ــ إلى هذه الظروف لنصل إلى نشأة « العلمانية » :

أولا : الظروف الدينية :ــ

٤١ ــ عاشت أوربا فترة قاست فيها قهر الكنيسة وتسلطها ، ونحن فى هذا

---

(١) آل عمران ١٢٦ .

(٢) الأنفال آية ١٧ .

(٣) وكما يسميها البعض العلمانية المعتدلة والعلمانية المتطرفة ويقصدون بالأخيرة الشيوعية (رسالة د. زين الهادى ــ المرجع السابق) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجال ـــ وحتى لانتهم بشيء من التحيز ـــ ننقل عن مفكريهم وكتابهم .

٤٢ ـــ فأما الجانب الفكرى ـــ العقدى ـــ فيكفى فيه :

أ ـــ ماقيل بعد دخول شاوول المسيحية ، وبعد مؤتمر نيقية عام ٣١٨ م من أن الله أقانيم ثلاثة : الأب ، والابن ، والروح القدس ، وفى هذا يقول الأب بولس فى كتابه « **يسوع المسيح** » :

« من الناس من يقولون لم ياترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم (صفات) ؟ أو ليس فى تعدد الأقانيم انتقاص لقدر الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله أحد فحسب ؟

ويمضى فى تبرير ذلك « الشرك » بالله فيقول :

« ولكننا إذا اطلعنا على كنه الله « معاذ الله فإنه لاتدركه الأبصار » لايسعنا إلا القول بالتثليث ، إن الله محبة « يوحنا الأولى ٤ : ١٦ » ولايمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون الله سعيدا (!) فالمحبة هى مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهى إذ تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما (!) فيكون الله سعيدا ولامعنى لاله غير سعيد وإلا انتفت عنه الألوهية .

ولهذا ولد الله الابن (!!) منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته (!) ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الأب هذه المحبة ، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس ، **هو الحب إذا يجعل الله ثالوثا وواحدا معا** (!!!) .

ثم يمضى فى التأكيد فيقول :

« ليس الله إذا كائنا تائها فى الفضاء منعزلا فى السماء ، لكنه أسرة (!) مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته ، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض هذا التثليث !!! [1]

---

(١) يسوع المسيح للأب بولس ، نقلا عن د. أحمد شلبى (المسيحية) ج ٢ ص ١٢٧ ـــ ١٢٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أى عقل سوىّ يتقبل هذا الهراء .. ؟

وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال القيم الإسلامية الأصيلة عبر الأندلس وجزر البحر الأبيض ؟!

وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال « المذهب التجريبى » فى المجال العلمى نقلا عن علماء المسلمين ؟!

ب) فكرة الصلب والصليب : وهى التى قامت على :ـــ

« أن من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم (!) بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة ، واستحق هو وأبناؤه (!) البعد عن الله بسببها ..[1] وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل الإنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر (!!)

والنص لايصمد أمام الانتقاد :

ـــ إذا كان آدم قد أخطأ .. فقد عوقب بالطرد من الجنة ، وهى ليست بالعقوبة الهينة « إن صح اعتبار خروجه من الجنة عقابا له ، وهو ليس كذلك » ، وإذا كان قد عوقب ... فلم تعاقب ذريته ؟!.. أى عدل فى ذلك ؟ ، وهم يطبقون صفة الله « العدل » ؟!

ثم إذا كانت ذريته « فرضا جدليا » مخطئون كذلك فما ذنب عيسى عليه السلام وهو النبى الذى لم يخطىء ، أهذا عدل الإله ...

إن الله أنزل فى كتابه ﴿ وأن لاتزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾[2] ليترجمه رجال القانون إلى مبدأ « شخصية العقوبة » .. أى عقاب

---

(١) ثابت فى كتابنا القرآن وهو الحق .. أن الله تاب على آدم عليه السلام وقبل توبته ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾، ومع التسليم جدلا باستحقاقه للعقاب فقد تم ذلك بخروجه من الجنة ، من ثم ينهار أساس فكرة الصلب .

(٢) النجم آية ٣٨ ـــ ٣٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشخص الذى يخطىء وعدم امتداد الخطأ إلى أحد غيره . إن الله « العدل » الذى أنزل ، ﴿ وإذاحكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ ..[1] لم يكن ليجازى عيسى عن ذنوب البشر .. إن هذا عين الظلم !

ـــ وثمة خطر آخر .. إن البشر إذا أحسوا أن عيسى قد افتدى أخطاءهم بأن رضى بالصلب .. فلهم أن يفعلوا مايشاءون ، وأن يعيثوا فى الأرض فسادا .. فعيسى يحمل عنهم أوزارهم ! ألاساء مايحكمون !

ـــ وأخيرا ..

قلناها لبعضهم[2]

« إذا كان عيسى ابن الله .. وقد رضى الله بصلبه ، فإن الأمر لايعدو أحد احتمالين :

إما أن يكون قد رضى ذلك ـــ عن قدرة ـــ فيكون بذلك إلها ظالما ، إذ يحمل برئيا أوزار المذنبين .. !

وإما أنه رضى ذلك ـــ عن عجز ـــ فيكون إلها عاجزا لايصح له أن يتولى « منصب » الألوهية .. بتعبيركم ، تعالى الله عما تقولن علوا كبيرا !

جـ) غفران الذنوب :

فى عام ١٢١٥م صدر عن مجمع روما قرار خطير يعطى « البابا » حق غفران الذنوب ، استنادا ـــ فيما نظن ـــ إلى نص محرف ينسب إلى المسيح - عليه السلام ـــ قوله إلى بطرس : « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ماتحلله على الأرض يكون محلولا فى السموات[3] ، ويرد بعد هذا النص نص آخر يشكك فى صحة النص الأول إذ ينسب إلى المسيح قوله لبطرس : « فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى

---

(١) النساء اية ٥٨ .

(٢) فى الولايات المتحدة الأمريكية إبان زيارة لنا عام ١٣٩٧ هـ ـــ ١٩٧٧ م .

(٣) إنجيل متى ـــ الإصحاح ١٦ ـــ من ١٩ ـــ ٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ياشيطان أنت معثرة لى ، لأنك لاتهتم بما لله [1]! فكيف يعطى المسيح إلى شيطان مفاتيح ملكوت السموات ؟! وهل يملك المسيح نفسه هذه المفاتيح ؟ .

﴿ قل فمن يَملِكُ من الله شيئاً إن أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ابن مَريمَ وأمَّهُ ومن فى الأرضِ جميعا ولله ملكُ السمواتِ والأرضِ ومابينهما يخلق مايشاء والله على كلِ شيءٍ قدير وقالت اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحباؤه قُل فِلمَ يُعذِّبُكُم بذنوبِكُم بل أنتم بشرٌ ممن خَلق يغْفِرُ لمن يشاءِ ويُعذِّبُ من يشاء ولله ملكُ السمواتِ والأرضِ ومابينهما وإليه المصير ﴾[2] .

والغفران لايتم إلا بطقوس :

منها : الجلوس على كرسى الاعتراف ، للإدلاء أمام القسيس أو من يعلوه باعترافات ... بلا تفرقة بين ذكر وأنثى ، وبلا اشتراط لانعدام الخلوة فى حالة الأنثى .

ومنها :إصدار صك بالمغفرة .. غالبا مايدفع المذنب فى مقابلة شيئا من المال .. ، وقد اتخذت صكوك الغفران شكل التجارة فى بعض الفترات ، كما شكلت مصدرا للإثراء غير المشروع « لرجال الدين الكنسى » ، ويجرى الصك على النحو التالى :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا .. (يذكر اسم الطالب المغفرة) ويحلك باستحقاق آلامه الكلية القدسية ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرص ، وأرفع القصاصات التى تلزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسيين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا

---

(١) إنجيل متى — الإصحاح ١٦ من ٢٣ — ٢٤ .

(٢) سورة المائدة آية « ١٧ — ١٨ » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند معموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل معه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الروح وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه نعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس »!!! (١)

ومنها : إصدار قرارات الحرمان .. إذ من يملك المغفرة .. يملك الطرد « من رحمة الله » « بقرار الملائكة وحكم القديسين ، نحرم ونلعن ، ونصب دعاءنا على (باذوخ سبينوزا) بموافقة الطائفة المقدسة كلها ، وفى وجود الكتب المقدسة ذات الستمائة والثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة فى سفر الشريعة ، وليكن مغضوبا وملعونا نهاراً وليلاً وفى نومه وصبحه ، ملعونا فى ذهابه وإيابه ، وخروجه ودخوله ، نرجو الله أن لايشمله بعفوه أبدا ، وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائما ويحمله جميع اللعنات المدونة فى سفر الشريعة ونسأل الله أن يخلص أولى الطاعة منكم وينقذهم ، وأن لايتحدث معه أحد بكلمة أو يتصل به كتابة ، وأن لايقدم له أحد مساعدة أو معروفا ، وأن لايعيش معه أحد تحت سقف واحد ، وأن لايقترب أحد منه على مسافة أربع أذرع ، وأن لايقرأ أحد شيئا جرى به قلمه ، أو أملاه لسانه » . (٢)

---

(١) أحمد شلبى « المسيحية » ج ٢ ص ٢٥٤ ، الاستاذ / محمد قطب ص ٦٣

(٢) هذا صك حرمان أحد الفلاسفة المسمى سبينوزا الذى خرج من تطبيقة المنهج العقلى على الكتاب المقدس إلى أنه ليس وحيا ، وقد حوكم أمام الكنيس اليهودى عام ١٧٥٦ م بتهمة الهرطقة (الضلال الدينى) ، راجع د/ فتح الله المشعشع ص ١٩٢ ــ ١٩٣ قصة الفلسفة .

وكان من بين من عاقبتهم الكنيسة :

أ ــ إبيلاس ــ العالم الفلكى حيث أحرقت كتبه العلمية والجغرافية ، وسجن حتى الموت .

ب ــ مارتن لوثر (١٤٧٣ ــ ١٥٤٦) الذى انتقد صكوك الغفران ، وانتقد سلطان الكنيسة لكنه أفلت من عقاب الكنيسة .

ج ــ إسحاق نيوتن (١٦٤٢) وقد عوقب على اكتشافه قانون الجاذبية بإعتبار أنه « استبدل بعناية الله قوة الجاذبية ، وأنزل رب الخلق عن عرشه وسلبه عمله المباشر فى خلق الكون على نحو ما تقرر الكتب المقدسة » .

د ــ كما تم إحراق العالم الإيطالى « جور دافوبرونو » عام ١٦٠٠ م لقوله بأن الأرض تدور حول الشمس .

هـ ــ من الملوك والأمراء ــ أمير تولوز بجنوب فرنسا ، وهنرى الرابع ملك انجلترا الذى أصدر البابا قرارا بحرمانه من الجنه .. فركع أمام القاتيكان فى زمهرير الشتاء وقتا طويلا حتى عفا عنه البابا ... إلخ (قصة النزاع بين الدين والفلسفة .. ومراجع أخرى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٣ ــ **فأما الجانب العملى .. فيكفى أن نقدم فيه :**

أ ــ حياة الرهبة ، ﴿ ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم ... ﴾ وتمارس حياة الرهبنة داخل الأديرة بالانقطاع عن الحياة العامة ، وبالامتناع عن الزواج وتضم الراهبين والراهبات ، وكأى حياة تنافى الفطرة وتلغيها ، شهدت الأديرة أحط ألوان الفسوق بما نمسك عنه . (١)

ب ــ **عصمة البابوات** : أعطى البابوات العصمة من الخطأ بقرار من مجمع روما المنعقد عام ١٨٦٩ م وصار للبابا حق الطاعة العمياء ، على الرعايا واجب الاتباع المطلق فإذا أضفنا إلى ذلك أن له حق تفسير الكتاب المقدس ، وأنه ليس للأتباع أن يعملوا عقولهم فيما بين أيديهم أو فيما يصدر عن الكنيسة .

إذا عرفنا ذلك كله .. عرفنا إلى أى وضع انحطت الكنيسة وصادمت بعد الفطرة العقول !

جـ ــ محاكم التفتيش :ــ

قيل بدأت فى أسبانيا عام ١٤٧٨ م وقيل قبل ذلك فى فرنسا ، حين أراد البابا « جريجورى التاسع » محاكمة الهراطقة مخالفى الكنيسة وذلك عام ١١٢٣ م .(٢)

وعندما أرسل نابليون حملة إلى أسبانيا بعد أربعة قرون من سقوطها فى أيدى الصليبية تحدث أحد ضباط حملته : « وهبطت على درج السلم .. فإذا نحن فى غرفة كبيرة مربعة وهى عندهم قاعة المحاكمة ... ثم توجهنا إلى غرف التعذيب التى امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض ...، ورأينا غرفا صغيرة فى حجم جسم الإنسان بعضها عمودى وبعضها أفقى فيبقى سجين الغرف الأفقية ممدودا فيها حتى يموت ، وتبقى الجثث فى السجن العتيق حتى تبلى ، ويتساقط اللحم عن

---

(١) راجع ماجمعه الأخ د. زين الهادى فى رسالة الماجستير غير مطبوعة ص ٥٤ ــ ٦٠ الجامعة الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

وراجع الأستاذ / محمد قطب ــ المرجع السابق ص ٥٨ ــ ٦٢ .

(٢) راجع ماجمعه الأخ د. زين الهادى فى رسالة الماجستير ــ غير مطبوعة ص ٥٤ ــ ٦٠ الجامعة الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العظم وتأكله الديدان ، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة على الفضاء الخارجى ، وقد عثرنا فى هذه الغرف على هياكل بشرية مازالت فى أغلالها .

واستطعنا إنقاذ عدد من السجناء « أعمارهم بين ١٤ ــ ٧٠ » وتحطيم أغلالهم وهم فى الرمق الأخير من الحياة .

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فوجدنا آلات لتكسير العظام ، وسحق الجسد البشرى ، كانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين ، تدريجيا حتى يهشم الجسم كله ، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ، ثم عثرنا على صندوق بحجم رأس الإنسان توضع فيه ، ويربط بالسلاسل والأغلال ، وفى أعلى الصندوق ثقب تتساقط منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام فى كل دقيقة نقطة ، وقد جن الكثير بسبب هذا اللون من العذاب . وآله أخرى على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة ، وآلات كالكلابيب تغرز فى لسان المعذب ثم تشد ليخرج معها فيقص قطعة قطعة ، وكلابيب تغرس فى أثداء النساء وتسحب بعنف حتى تتقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين ، وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم وتتناثر لحومهم . (١)

ولانحسب الأمر هنا يحتاج إلى أدنى تعليق .

ثانيا : الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية :ــ

٤٤ ــ فصلنا فى الظروف الدينية لأنها كانت العامل الأساسى لردة أوربا عن

---

(١) قصة الاضطهاد الدينى د. توفيق الطويل ص ٦٩ ومابعدها ، قادة الغرب يقولون جلال العالم ص ١٠ ــ ١٥ ، وقصة النزاع بين الدين والفلسفة ــ توفيق الطويل ، ويقدر من عاقبتهم محاكم التفتيش بثلاثمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء ، وممن عاقبتهم الكنيسة : العالم الطبيعى « بروفون » و « جالليو » الذى قال بدوران الأرض ... ــ راجع كذلك الأستاذ / محمد قطب ص ٦٧ ــ ٧٠ فى الفترة من ١٤٨١ ــ ١٤٩٩ م (١٨ سنة) تم إعدام ١٠٢٢٠ حرقا وهم أحياء ، ٦٨٦٠ شنقا ، ٩٧٠٢٣ بعقوبات أخرى (شمس العرب تشرق على الغرب ص ٣٦١ نقلا عن د. جمعه الخولى ــ رحمه الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدين ،[1] أما الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فكانت تشكل عوامل مساعدة ولئن وصلت أوربا فى قرونها الوسطى إلى الحضيض فى تعاملها مع الدين فلقد كانت كذلك فى الحضيض بالنسبة لظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ...

* * كانت أوربا تعيش حياة الإقطاع .. حيث يملك نفر بسيط الأرض بما عليها ومن عليها ، ولم يكن للعامل حق فى أجر عادل .. بل كان يمثل « شيئا » يملكه الإقطاعى كما يملك الآلات الزراعية القائمة على هذه الأرض سواء بسواء .

ومن ثم كانت الغالبية من الناس تعيش حياة الفقر والفاقة والعوز ، بينما قلة من الناس تعيش حياة الترف والدعة والفجور .

* * وبذا نشأ اجتماعيا فى المجتمع طبقتان :

طبقة السادة التى تملك كل شىء ولها كل شىء !

وطبقة العبيد التى لاتملك شيئا وليس لها أى شىء !

وكانت الكنيسة لاتكتفى بالسكوت على مظالم الإقطاع ، بل إنها كانت تمارس نفسها الإقطاع .[2]

* * أما الجانب السياسى .. فقد كان خاضعا لنفس الظروف ، الحاكم إقطاعى يتملق الإقطاعيين ... ويتملك العبيد ، ويقدم للإمبراطور إعانة سنوية مقابل قيامه بالحكم وفرض الضرائب وتحصيلها ... وكان هذا يمثل ماأسموه « بالسلطة الزمنية » وإلى جوار هذه السلطة الزمنية كانت « السلطة الدينية » ممثلة فى الكنيسة والتى بلغ جورها حد

---

(١) ويعبر عنه الفرنسيون بمثل فرنسى معروف Silabranche est trop courbee إذا كان الغصن معوجا شديد الميل إلى ناحية من النواحى فإنه يجب من أجل أن تجعله مستقيما أن تثنيه وتميله إلى الجهة المضادة بقدر انثنائه السابق (مبادىء نظام الحكم فى الإسلام د. عبد الحميد متولى . دار المعارف. الإسكندرية الطبعة الثانية . ١٩٧٤ م) .

(٢) يقول « ول ديورانت » أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضى ، وأكبر السادة الإقطاعيين فى أوربا فقد كان دير « فلدان » مثلا يمتلك خمسة عشر ألف قصر صغير ، وكان دير « سانت جول » يملك ألفين من رقيق الأرض ... ويقال إنه صار لهم فى فرنسا ربع الأرض (تاريخ التمدن الحديث ص ٦٥) وكان على الناس أن يعملون يوما كل أسبوع فى أراضى الكنيسة وعشر أموالهم هبة لها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إقامتها لمحاكم التفتيش التى راح ضحايا لها حوالى ثلاثمائة ألف منهم اثنان وثلاثون ألف ماتوا حرقا ، والتى جارت فى سلطانها على السلطة الزمنية بما مارستة عليها من قرارات الحرمان إن هى لم تخضع لرغباتها وأهوائها ...[1] وكان التعاون آثما بين السلطتين على حساب الشعب المقهور الذى عانى أقسى ماعانته البشرية فى عصور كثيرة ![2]

ثالثا : نتائج هذه الظروف : « ردود الفعل »

٤٥ ـــ كان لهذا القهر الذى مورس على العقول حربا على العلم والعلماء وعلى كل جديد أو مكتشف ، مع ماتعلنه الكنيسة من أقانيم ، وصلب ، وصكوك غفران ، وصكوك حرمان !

وكان لهذا القهر الذى مورس على القلوب .. قبولا بكل ماتقوله الكنيسة .. اعتبار مما قررته للبابا من حق غفران الذنوب عام ١٢١٥ إلى ماقررته بعد ذلك من عصمته من كل خطأ فى عام ١٨٦٩ .. إلى مابين ذلك ، ومابعد ذلك .. من تفتيش على القلوب مع حجر على العقول ، وكان للقهر الذى مورس على الأبدان .. تعذيبا ، وسجنا ، وتقتيلا ، مع القهر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى ظل حكم الإقطاع ... كان لابد لهذه الأفعال Actionمن ردود أفعال Reation .[3]

---

(١) من ذلك ماأصدره البابا نقولا الأول « أنا ابن الله .. إن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما كانوا أو محكومين » ـــ عن المرجع السابق ص ٤٥ .

وراجع قصة الصراع بين البابا هلد براند والإمبراطور هنرى الرابع ص ٤٦ . ويقول البابا خر يغوريوس « إن الكنيسة هى صاحبة السيادة فى العالم كله تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمد هى ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ ، وإن البابا له مركز قوة فى العالم فهو الذى يولى الأساقفة ويخلعهم ، وله الحق فى خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذى لايسأل عما يفعل . (معالم تاريخ العصور الوسطى ـــ محمد رفعت ، محمد حسونه ص ١٣٧) أشار إليه د. جمعه الخولى ـــ رحمه الله .

(٢) وكان من ذلك ماأعطته من شرعية الطغيان السياسى إذ أطلقت على لسان المسيح « أعطوا مالقيصر لقيصر ومالله لله » المرجع السابق ص ٤٣ .

(٣) كان لوثر راهبا عالما دارسا اللاهوت ، وعندما ذهب ليحج فى روما أزعجته صكوك الغفران التى تباع وتشترى ، وعندما عاد إلى ألمانيا احتاج البابا « ليو » إلى اعادة بناء الكنيسة فأصدرت « صكوكاً » فعلق لوثر احتجاجا على باب الكنيسة ، فطلبه للمحاكمة فلم يذهب ، فأصدرت الكنيسة قرارا بحرمانه من الحقوق المدنية والقانونية حتى صار مباح الدم !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٦ ــ وكان أول نداء .. بفصل الدين عن الدولة .. بتقييد سلطان الكنيسة داخل جدارنها .. بحبس الدين Nonrelgion فى رأى المعتدلين ، وبإعدام الدين Antirelegionفى رأى المتطرفين .

بدأ ذلك بنداءات مارتن لوثر « ١٤٧٣ ــ ١٥٤٦ » [(١)] ، الذى تعده أوربا زعيم الإصلاح الدينى ، والذى حاولت الكنيسة عقابه لكنه أفلت من عقابها .

ونادى الفيلسوف « ديكارت » بأن للعقل ميدانه وللدين ميدانه ، وميدان العلم هو الطبيعة ، وميدان الدين هو العالم الآخر ، وبذا « عزل » الدين عن العلم وعن الحياة .

أما « فولتير » فقد أسمى النصرانية « بالكائن الوضيع » وكتب « مقبرة التعصب » فى عام ١٧٣٦ م وإن لم ينشر إلا فى عام ١٧٦٧ وكان من بين ماقاله فيه :

« إن كل رجل عاقل لايملك إلا أن يغرق فزعا من اعتناق المسيحية » ، ووصف عقيدة النصارى بأنها « عقيدة متناقضة سفاكة للدماء ، ينتصر لها الجلادون ، وتحيط بهم عصبة من الأشرار .. عقيدة لايذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة وثراءا .. عقيدة خاصة لم يعتنقها إلا عدد قليل من سكان هذا العالم ، ووصف التوحيد (يقصد الوحدة) بين الدين والدولة أنه : « أبشع نظام » وقال إنه « يجب إلغاؤه » .

ودعا إلى إبعاد الدين عن الدولة ، وفصل الدولة عن الدين وطالب بإقامة نظام آخر ، « يخضع فيه رجل الدين لنظم الدولة ويخضع فيه الراهب للقاضى » .

أما جان جاك روسو ، فقد أخذ صيحة « عمر بن الخطاب » : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ليترجمها إلى نظرية العقد الاجتماعى Contrat Socialوالتى قال بمقتضاها ... إن الناس كانوا جميعا أحرارا لاقيد عل حريتهم ، ولكنهم لحاجتهم إلى إقامة مجتمع ودولة تنازلوا عن قدر ضئيل من حريتهم

(٢) المسيحية لشلبى ص ٢٥٨ ، رسالة ماجستير للدكتور زين الهادى ص ٦٨ ــ ٦٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليحفظوا حريات الآخرين ، حتى يقوم مجتمع وتقوم دولة .

٤٧ ــ ثم كان نتائج ذلك ثورات حطمت فيها مئات الكنائس ، وقتل العديد من رجال الكهنوت :

١) **ثورة الفرسان** : فى ألمانيا فى مطلع القرن ١٦ ، هاجموا الكنائس والأديرة ودمروا ماكان فيها من تماثيل الكنائس وطردوا الرهبان من الأديرة .

٢) **ثورة الفلاحين فى ألمانيا** : بعد السابقة بعشر سنوات ، طالب فيها الفلاحون بتخفيف ضريبة العشور التى تؤدى للكنيسة ومنحهم الحق فى اختيار رجال الدين ، وامتدت إلى عدة جهات فى ألمانيا ، وأدت إلى قتل عشرات الألوف من الفلاحين لاخمادها .

٣) **ثورة الأراض المنخفضة** : تم خلال أسبوع واحد تحطيم ٤٠٠ كنيسة وكثير من الأديرة ، وأخمدت بعد إعدام ١٨٦٠٠ مواطن ، وفر حوالى ثلاث أضعافهم خارج البلاد كانوا يكونون طبقة مستقلة عن بقية أفراد الشعب .

٤) **الثورة الفرنسية** : فى القرن ١٨ ، والتى رفعت شعار « اشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس » .[١]

اليهود فى الميدان :ــ

٤٨ ــ يقول الكاتب الأمريكى « وليام غاى كار » : « لقد كان اليهود وراء فكرة فصل الدين عن الدولة .[٢]

* ولعله يؤكد ذلك ماجاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » : « لقد بدأت ثمار جهودنا تؤتى أكلها ، إذ أخذ ذلك النفوذ الدينى العظيم[٣] على الناس يتضاءل رويدا رويدا ، وحلت حرية الضمير محله فى كل مكان » ، ثم : « لن يمضى غير سنوات معدودات حتى نشهد احتضار المسيحية ولن تتطلب الديانات الأخرى ، إلا

(١) التاريخ الأوربى الحديث د . / عبد الحميد البطريق ، د / عبد العزيز قوار ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٩ .

(٣) أحجار على رقعة الشطرنج وليم غاى كار . ويؤكد ذلك الأستاذ / أنور الجندى بقوله : « إن الدعوة العلمانية هى نتاج يهودى تلمودى أصيل كان له أبعد الأثر فى الفكر الغربى ص ١٧ من سقوط العلمانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليسير من الجهد ، حتى تتبع المسيحية فى الانهيار ، وسنحصر الدين ورجاله فى أضيق نطاق ، حتى تزول عنهم الهيبة ، وتسقط الحرمة فتفقد تعاليمهم الأثر الطيب الذى كانت تجده من قبل » . (١)

* ولقد يكون لليهود أكثر من مصلحة فى سقوط المسيحية :

فأولا : شفاء الأحقاد التى دفعتهم إلى محاولة قتل المسيح « صلبا » وإن لم تمكنهم القدرة الإلهية من ذلك ، ولكن ﴿ شُبِّه لهم ﴾ وقد وقعت جريمة قتل ، وإن لم تقع على شخص « المسيح »

ثانيا : إزاحة سلطان الكنيسة التى كانت تساند التعصب المسيحى ضد « اليهود » فى أوربا .

ثالثا : بلوغ مايتمنون أولا من حريتهم (٢) ، وثانيا من سيادتهم على الأديان والأجناس الأخرى وفقا لتعاليم تلمودهم الذى صنعته أيديهم وجعلوه فى مقام فوق التوراه .

* ويبقى بعد ذلك : وجهة النظر التى ترى أن اليهود أنفسهم من معتنقى العلمانية رغم ادعائهم الانتماء الدينى أو الالتزام الدينى .

يؤكد ذلك طبيعتهم : إنهم أحرص الناس على حياة .. أية حياة ، كما يؤكده واقعهم المنحل ، واهتماماتهم المادية .

* ونحن نرى أن وجهة النظر هذه معقولة على المستوى الشعبى .

أما من ناحية المستوى الرسمى : فإن اليهود حريصون على إحياء توراتهم المحرفة وتلمودهم الموضوع ، وحريصون على الالتزام بها أكثر من التزامنا نحن بقرآننا الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

---

(١) البروتوكول السابع .

(٢) ولقد يؤكد ذلك أن أول قرار لأول حكومة علمانية فى أوروبا كان اعتبار اليهود المقيمين فى فرنسا مواطنين لهم حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته (الجمعية الوطنية الفرنسية ١٧ / ٩ / ١٧٧١ م) .. راجع الأستاذ أنور الجندى سقوط العلمانية ص ٢٢ والملل المعاصرة فى الدين اليهودى د . إسماعيل الفاروق أشار إليه فى المرجع السابق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك فلا نحسب أن اليهود بإمكاناتهم المحدودة فى ذلك الحين ، وبأعدادهم المحدودة كذلك .. كانوا قادرين على صنع الأحداث ونحسب أنهم أرادوا نسبة بعض الأحداث إليهم ليستعملوا سلاح الرعب ضد خصومهم .. والإنسانية كلها خصومهم !

المذهب الفردى ــ والثورة الفرنسية :ــ

٤٩ ــ سقط قناع الكنيسة .

وساد شعار فصل الدين عن الدولة بعد القرن « ١٦ »

وأعقب ذلك نداءات فولتير ، وجان جاك روسو ، وغيرهم من المفكرين والفلاسفة التى شكلت فيما بعد ماسمى بالمذهب الفردى « الذى ظهر فى القرن الثامن عشر » .

* والمذهب الفردى Individialism يقوم على شعار Liaissez Passer Laissez Faire وهو مطبق أساسا فى المجال الاقتصادى ، لكنه كذلك طبق فى المجال السياسى ، ليحدد وظيفة الدولة بثلاثة : الأمن والسكينة والصحة ، وطبق فى المجال الاجتماعى ليطلق حريات الأفراد التى نص عليها بعد ذلك : Liberté Propviete, Egalité

* ثم انفجرت الثورة الفرنسية بعد ذلك (١٧٨٩ م) رافعة شعار : اقتلوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، ومهما قيل فى شأن الثورة الفرنسية من أنها أغرقت الأرض ببحار من دماء ، وأنها صارت تأكل بعضها بعد إذ لم تجد ماتأكله ، وأنها خلصت الناس من إرهاب لتوقعهم فى إرهاب وأن ضحاياها على المقاصل كان منهم الكثير من الأبرياء .

٥٠ ــ فقد أفرزت الثورة الفرنسية :

١) تأكيد تقييد سلطان الكنيسة برفع شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة .

٢) تقييد السلطان السياسى للملوك والحكام الذين ادعوا الحق الإلهى Droit Divin والذين حين عدلوا عن الحق الإلهى نادوا بأنهم الدولة Létat C'est Moi .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣) إعلانات حقوق الإنسان Declarations dedroits del'homme التى ركزت على حقوق الإنسان فى : الحرية ، الملكية ، المساواة ، حق مقاومة الظلم Leberté ProPrieté Egalité, Resistencea l'oppression ثم صدرت الدساتير المختلفة مؤكدة لهذه الحقوق ، ومنظمة علاقة الحاكم بالمحكوم وموزعة الاختصاصات بين السلطات الثلاثة : التشريعية والقضائية والتنفيذية ، بعد تأكد الفصل بين السلطات باعتباره ضمانا هاما للشرعية .

العلمانية فى أوربا :ـــ

٥١ ـــ ارتفعت صيحة فصل الدين عن الدولة ، أو العلمانية Secularism وارتفع معها شعار المذهب الفردى Endividialisme الذى طبق فى النطاق الاقتصادى بالتمكين للرأسمالية .

وفى المجال السياسى بالتمكين للديمقراطية .

وفى المجال الاجتماعى بانطلاق الأفراد فيما أسموه بالحرية الشخصية وغذى ذلك كله العلمانية .

ـــ واتخذ تطبيقاتها .. فى مجال التعليم
ثم فى مجال الإعلام.
ثم فى مجال حرية المرأة (أو ماأسموه ذلك)

ـــ **وصاحب ذلك نهضة صناعية** .. كانت أوربا قد أفادتها بعد نقل العلوم من الجامعات الإسلامية فى قبرص وقرطبة وأشبيلية .

ـــ وأعقب ذلك اتجاه الدول الأوربية بعد نهضتها وقوتها إلى استعمار بلاد العالم الثالث لأغراض كثيرة من بينها : البحث عن الموارد الأولية اللازمة للصناعات .

*** * وتصور الكثيرون ذلك كله « بركة » العلمانية .**

ولاشك أن الكنيسة (لا الدين) كان عقبة كبيرة فى سبيل نهضة أوربا باعتبار ماأقامته من حجر على العقول .. بلغ حد إنكار المخترعات العلمية ، والعقاب عليها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« كما حدث لجاليلو الذى قال بدوران الأرض ، ونيوتن الذى قال بقانون الجاذبية وغيرهما » كما أقامت حجرا على القلوب بإقامتها سدا بينها وبين الله متمثلا فى كرسى الاعتراف ، وصكوك الغفران وقرارات الحرمان .

ولم يكن لأوربا أن تنهض بغير ثورة على الكنيسة بعدما تردت الكنيسة إلى تلك الهاوية ، وتردى « أربابها » فى مستنقع الرذيلة ، تحت ستار « الرهبنة » وتوزيع « البركات » مع قيام « العصمة » حائلا دون أن يسأل البابا أو يساءل من دونه باعتبارهم ممثلين له !

ـــ ومن ثم زاد ترداد شعار العلمانية Secularism باعتباره العاصم الوحيد دون عودة سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ، وباعتباره باب الولوج إلى الحرية ، والنهضة ، والتقدم .

ـــ وأشعل المستفيدون من هذه الشعارات لهيب الحماس للعلمانية باعتبارها « الإنقاذ » للشعوب مما هى فيه من تخلف ، وتعصب ، وبعد عن الحضارة والمدنية ... وبقيت إشارات إلى اليهود باعتبارهم المستفيد الأول من هذا الشعار .

ـــ وانتقلت العلمانية إلى شعوب مختلفة ، وانتقلت معها تطبيقاتها فى مجالات مختلفة .. وكان نصيب الشرق الإسلامى وافيا ... على نحو ماسنشير . بمشية الله .

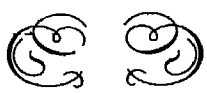

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« المبحث الثانى »

انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامى

تقدمة :ـــ

٥٢ ـــ الفكر أشبه بالماء . ينتقل من أعلى إلى أدنى.....

وعندما كنا الأعلى .. كان فكرنا .. وقبله ديننا .. وعلمنا .. ينتقل إلى غيرنا .. إلى الأدنى ..

وعندما صرنا الأدنى .. عندما رضينا بالسفح دون القمم .. نزل إلينا كل وافد وكل رافد .. يحمل معه بعض الخير .. لكنه يحمل شراً كثيراً بل شراً مستطيراً ، يحمل مع الماء الزبد والغثاء ويحمل داخل الماء الكثير من السموم ..!

هذا تصوير أو تقريب !

وهناك آخر ...

إن الإنسانية فى امتداداتها المختلفة أشبه بالأوانى المستطرقة .. فإن كان ثمة « امتلاء » فى جانب وفراغ فى جانب آخر ... إنتقل السائل من الامتلاء إلى الفراغ .

ولقد عاش العالم الإسلامى فترة « امتلاء » بعد امتداد نور الإسلام وفيضه فيه .. فكان « يفرغ » فى الآخرين ..

ثم ارتد وانحسر .. فعاش فترة « فراغ »

فكان للآخرين أن يفرغوا ماعندهم فيه .

والفرق فى الحالين :

أنّا أفرزنا الخير ، وأفرغناه إلى غيرنا .

وأن غيرنا أفرز « الشر » و« أفرغه » إلينا!

ولقد كانت هناك عوامل ساعدت على انتقال « الفكر إلينا » .. وكانت هناك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسائل أو « مجارى » حملت إلينا هذا الغثاء وكانت هناك نتائج لهذا أو ذاك ..

فلنبحث ذلك بمشية الله :

أولا : عوامل انتقال العلمانية :ـــ

٥٣ ـــ كانت عوامل انتقال العلمانية منها ماهو مخطط مرسوم ومنها ماجاء عفوا بغير تخطيط .. لكنها تجمعت لتساعد على انتقال هذا الفكر الجديد لتجد له مكانا فى شرقنا الإسلامى ...

لم تكن ظروفنا مماثلة لتلك الظروف التى قامت فى أوربا ، لم يكن عندنا حجر على القلوب ولاحجر على العقول ، لم يكن عندنا اضطهاد للعلم والعلماء ، لم تقم فى بلادنا محاكم تفتيش .. تحاكم الضمائر والوجدان ! وتحكم بالحرق والتعذيب والسجن والتشريد !

ومع ذلك قامت عندنا عوامل أخرى بعضها خارجى وبعضها داخلى ، بعضها عفوى وبعضها عمدى .

أما العامل الأول فقد كان نهضة أوربا مع العلمانية :

ذلك أن نهضة أوربا « المادية » واكبت وأعقبت العلمانية ، أو فصل الدين عن الدولة ، ومن ثم أحدث ذلك شعوراً بأن التحضر والتمدين ومناهضة التخلف لايكون إلا بطرح الدين خلف الظهور ، وإلا فلم نهضت ، أوربا . وبغض النظر عن مدى صحة ذلك من ناحية الحقيقة والواقع ، فإن الذين خرجوا من مجتمعات « التخلف » الذى فرض على المنطقة الإسلامية وشاهدوا مجتمعات « التقدم » و« التحضر » تخلف فى « لاشعورهم » هذا المعنى من حيث لايشعرون وظنوا بدينهم غير الحق ظن الجاهلية أو ظن الجاهلين ، فما بالك إذا أضفت إلى ذلك العوامل الأخرى .

العامل الثانى : تخلف المنطقة الإسلامية :ـــ

وهو عامل داخلى فى مواجهة العامل الخارجى السابق .

وبغض النظر عن أسباب هذا التخلف .. فقد كان ـــ واقعا قائما ، كان ثمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تخلف فكرى ... بعد فترة من النشاط الفكرى الذى لم يشهد له العالم مثيلا والذى أنتج علوما عديدة فى كافة الـميادين [1]

ولعل هذا التخلف بدأ مع إغلاق باب الاجتهاد ثم مع البعد شيئا فشيئا عن النبع الصافى الذى كان يستقى منه الأولون ﴿ ومن لم يَجعلِ اللهُ له نوراً فما لهُ من نور ﴾ [2] . وكان ثمة تخلف حضارى ومادى .. وفى كل الجوانب .. نتيجة انصراف الحكام إلى شهواتهم وترك مصالح الناس ، ونتيجة الصراع على مناصب الحكم وكراسى الوزارة ، والنكبات التى صاحبت ذلك وأعقبت ذلك .

كان التخلف حقيقة واقعة . وإذا كان تخلف فى جانب .. وتقدم فى جانب آخر فلابد أن يفد الفكر من الأعلى إلى الأدنى ـــ كما قدمنا ـــ .

العامل الثالث : الاستعمار العسكرى ، ومأأعقبه من سقوط الخلافة :ـــ

كان التخطيط فى الـمسألة الشرقية للإجهاز على « الرجل الـمريض » وقد مر ذلك

---

(١) إذا أخذنا نموذجا لذلك بلدا واحدا كالأندلس ، فإننا نجدها قد أنجبت بعد الإسلام :

أ ـــ ابن حيان القرطبى : شيخ المؤرخين ، وصاحب الجامع لأحكام القرآن ، والمقتبس فى تاريخ الأندلس عشرة أجزاء ومؤلفات أخرى .

ب ـــ ابن خلدون : مؤسس علم الاجتماع ، ومؤسس فلسفة التاريخ ، وصاحب (مقدمة ابن خلدون) .

ج ـــ ابن حزم الظاهرى : صاحب كتاب المحلى (٩ أجزاء) والأحكام فى أصول الفقه فضلا عن ٤٠٠ مجلد آخر .

د ـــ أبو القاسم الزهراوى ـــ الطبيب ـــ الذى توصل إلى استخراج الحصا من المثانة وتفتيتها ، واجراء عمليات فى العين .. فضلا عن بقية أفراد عائلة زهر التى اشتهرت بالطب ـــ رجالا ونساءا .

وفى العلوم الأخرى : فى مجال الكيمياء : كان المسلمون أول من جعل البارود مادة متفجرة قابلة لإطلاق القذائف ـــ ونقلها عنهم الأوربيون ، كما توصلوا إلى كثير من الصناعات فى الطباعة ، والدباغة ، وصناعة المعادن .

وفى مجال الفيزياء : وضعوا أسس هذا العلم ، ووضعوا نظرية الجاذبية وتحدثوا عن المغناطيسية والبصريات .

وفى مجال التعليم : ظهرت جامعات غرناطة وقرطبة وأشبيلية .. وفى هذا يقول ماك كيب : لم تطلع الشمس على أهنأ وأرغد عيشا ولاأكثر رغبة فى التمتع بالجمال والعلوم والأعمال المجيدة من غرب الأندلس (حاضر العالم الإسلامى ص ٨٤ ـــ ٨٥) .

(٢) النور آية ٤٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمرحلتين :ـــ

ـــ مرحلة تقطيع أوصال الخلافة : بالاحتلال العسكرى لمناطق إسلامية وقد ضربنا لذلك الأمثال حتى احتلت الأرض الإسلامية كلها عدا الحجاز وأفغانستان ثم دولة الخلافة . وأعقب ذلك :

ـــ إسقاط دولة الخلافة ، بالترتيب الذى أشرنا إليه من قبل ، وقد حرص الاستعمار العسكرى ، وحرص الذين أسقطوا الخلافة على أن يحملوا معهم أفكارهم ... سواء بقصد الغزو الفكرى أو لمجرد الاعتزاز بها والفخر باعتناقها .. وفى مقابل ذلك كان العامل الرابع .

العامل الرابع : الهزيمة النفسية لدى المسلمين :ـــ

أعقب الاحتلال العسكرى ثم إسقاط دولة الخلافة ، هزيمة نفسية خطيرة .. فترسب فى نفوس المسلمين أن الغالبين هم الأعلى ، بما يحملون من حضارة مادية أوتوا أسبابها .

وإذا كان المغلوب مولعا بتقليد الغالب ، فقد قلد المغلوبون الغالبين .. قلدوهم فى كل شىء حتى مع اختلاف الظروف واختلاف التكوين . ومن ثم كان تقبل « العلمانية » وغيرها .. أمرا غير مستغرب .

العامل الخامس والأخير : الغزو الفكرى الخطير :ـــ

الذى مر بمراحل :

محاولة تنصير المسلمين

محاولة إخراج المسلمين من دينهم دون دخولهم النصرانية .

محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة ، وتحت أسماء خادعة رقيقة : « التغريب ، التحديث ، التمدين ، التحضر ، التغيير الاجتماعى ، وعملت العلمانية فى مجالاتها ... وشقت طريقها فى مجاريها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : وسائل نقل العلمانية أو « مجاريها » :ـــ

٥٤ ـــ المجرى الأول : المستشرقون :

فى كتاباتهم التى اتخذت طريقها فى الغرب لدى المبتعثين أو اتخذت طريقها فى الشرق لدى الدارسين والباحثين .

وكان للشكل الذى اتخذه التأليف .. دخل كبير فى إقناع « السذج » ، بتقدم هؤلاء .. وكان للأسلوب « العلمى » الذى اتخذه المستشرقون دخل كبير فى ظن المسلمين خيراً بهؤلاء .. بينما كثيرا مما كتبوه حوى كثيرا من الافتراء إما عمدا عن حقد وقصد إلى إضعاف عقيدة المسلمين وأفكارهم ، وإما جهلا منهم بالمصادر الإسلامية ساعد عليه جهلهم بلغة الإسلام : اللغة العربية .

المجرى الثانى : المبشرون :

وهؤلاء مارسوا ما مارسوه عن عمد تنفيذا لوصية زويمر ، كما قدمنا ، فنقلوا العلمانية .. من خلال نشراتهم وكتبهم ، ومن خلال التمثيليات والأفلام ، ومن خلال المدارس المختلفة التى بدأت بالأجنبية ، ثم كان تأثيرهم على مناهج التعليم الوطنية كذلك ، كما أشار إلى ذلك أكثر من مبشر .

المجرى الثالث : المبعوثون والناقلون للفكر الغربى من أبناء المسلمين :

وهؤلاء كانوا أخطر الوسائل ، لأنهم عادوا يحملون ألقابا علمية وضعتهم بمساعدة ـــ المخططين ـــ فى مناصب التوجيه .

وأعقبها .. نظر الناس إليهم أنهم قدوة مع اسقاط أى مناعة أو تحفظ قبلهم لأنهم « وطنيون » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتقال العلمانية
(تلخيص)

عوامل انتقال العلمانية

(١) مواكبة العلمانية لنهضة أوربا .
(٢) تخلف المنطقة الإسلامية .
(٣) الاستعمار العسكرى
(٤) الهزيمة النفسية .
(٥) الغزو الفكرى .

مجارى العلمانية

(١) المستشرقون .
(٢) المبشرون .
(٣) التلاميذ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« المبحث الثالث »

تعريف العلمانية[1]

٥٥ ـــ مفهوم العلمانية كما يبين من العرض ، هو فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة لاتعنى كما يظن البعض إنكار الدين ، فذلك هو الإلحاد أو الكفر ، لكنها تعنى حصر دائرته وحصر سلطانه داخل جدران الكنيسة فلا يتعداها إلى المجتمع أو الدولة .

وعلى ذلك فيمكن فى ظل العلمانية ممارسة الشعائر الدينية ، لكنه لايمكن أن يمتد سلطان الدين إلى المجتمع أو الدولة .

والقول بأن العلمانية إنكار للدين أو إلحاد خلط لها مع الإلحاد الذى تنادى به الشيوعية وغيرها من المذاهب الملحدة وآية ذلك التطبيق القائم فى مواطن نشأة العلمانية وهو أوربا .. ففى أوربا تمارس الشعائر الدينية داخل الكنيسة كما تمارس داخل البيوت « سواء كانت صحيحة أم خاطئة أم محرفة » لكنه لايسمح للكنيسة بممارسة ماكانت تمارسه من قبل على المجتمع أو الدولة .

وعلى ذلك فالعلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وحصر نطاق الدين فى أماكن العبادة ، وقصر معناه على الجانب التعبدى .

---

(١) لغة : لم يوجد لها مكان فى معاجم اللغة العربية ! أما فى بعض المعاجم الحديثة فقد جاء :ـــ

أ ـــ فى معجم المعلم البستانى : « العلمانى : العامى الذى ليس باكليريكى » .

ب ـــ فى المعجم العربى الحديث لاروس تأليف د / خليل الجسر : « علمانى : ماليس كنسيا ولادينيا » .

ج ـــ فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة فى القاهرة : « العلمانى : نسبة إلى العلم ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى » .

وعدم وجود الكلمة فى المعجم القديمة يدل على حداثتها ، ويلاحظ بعض الباحثين إنها وردت أولا فى المعاجم اللبنانية المسيحية فى وقت مبكر (١٨٧٠ م) ـــ وفى المعجم الوسيط لمجمع اللغة ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٠ م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥٦ ــ ولقد صار علما على العلمانية فى الغرب Secularismبالإنجليزية Seculariteé بالفرنسية ، وكلاهما اشتقاق من لفظ Secular والغرب يفهم اللفظ بمعنى فصل الدين عن الدولة ، وعدم تدخل الكنيسة فى أعمال الدولة .

٥٧ ــ لكن البعض توسع فى دلالة العلمانية إلى ماقد يوهم بأنها مرادف للإلحاد أو إنكار الدين :

ولننظر إلى معانيها فى بعض القواميس ودوائر المعارف

ففى القاموس الإنجليزى Secularismتعنى : The vicwthat Morality and edueation should not be based on religionوترجمته العلمانية هى : وجهة النظر القائلة بعدم تأسيس الأخلاق والتعليم على العقيدة و Secularist تعنى : Beliving or Supporter of Secilarismالمؤمن أو المؤيد فى العلمانية ويعلمن : Secularize تعنى :

Make Secular: Secularize Church, Property, Courts. Secularize Sunday E.C. When church going is replaced by sporting events.

يعلمن : يجعله علمانيا ، يعلمن الكنيسة ، والملكية ، والمحاكم ، يعلمن يوم الأحد عندما يجعل الذهاب إلى الكنيسة يحل محله ممارسة الأحداث العادية .

٥٨ ــ **وفى دائرة المعارف البريطانية :ــ** (١)

« هى حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها وذلك أنه كان للناس فى العصور الوسطى رغبة شديدة فى العزوف عن الدنيا والتأمل فى الله واليوم الآخر ، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت Secularismتعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس فى عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق طموحاتهم فى هذه الحياة الغريبه ، وظل الاتجاه إلى ال Seularismيتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية »

(١) راجع الأستاذ محمد قطب فى : مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤٥ . =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥٩ ــ أما دائرة المعارف الأمريكية :

فقد جاء الحديث فيها عن العلمانية على النحو التالى : [١]

« الدنيوية هى : نظام أخلاقى أسس على مبادىء الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة ، وإن المبدأ الأول هو حرية الفكر ـ حق كل إنسان فى أن يفكر لنفسه : وهذا هو المعترف به الآن على الأقل نظريا من أغلب المسيحيين ، ولكن الحال لم يكن كذلك عندما أعلن جورج « جاكوب هولى أوك » لأول مرة عن برنامج الدنيوية حوالى سنة ١٨٤٦ م فى انجلترا ، ويتضمن هذا المبدأ شيئا هاما يعتبر كتتمة له ، ألا وهو الحق فى اختلاف الآراء فى كل مواضيع الفكر . علما بأن هذا الحق يصبح غير ذى قيمة بدون الحق فى تأكيد ذلك الاختلاف . وأخيرا فإن نظام الدنيوية يؤكد الحق فى مناقشة ومجادلة كل المسائل الحيوية ، مثل الآراء المقبولة عند أغلب الناس عن أسس الالتزام الأخلاقى ، وعن وجود الله ، وعن خلود الروح ، وعن سلطة الضمير .. إلخ ، ومبدأ الدنيوية لايعترف بأنه لايوجدخير آخر سوى خير الحياة الدنيا ، وهو لايخوض فى هذه المسألة : ولكنه يؤكد بأن خير الحياة الدنيا هو خير حقيقى ، والسعى إليه هو خير أيضا ، كما أنه يهدف إلى إثبات « أن الحالة المادية الدنيوية يستحيل أن يكون الإنسان فيها محروما أو فقيرا » يؤكد بأنه توجد فى هذه الحياة قوى مادية لايمكن تجاهلها دون أن يكون هذا تصرفا أحمقا أودون أن يصاب بضرر ، ألا وهى « الحكمة والرحمه ، وواجب مراعاتهما » وهو لايعارض ادعاءات المسيحية ، ولايقول بأنه لانور ولاهداية إلا فى الطبيعة ، ولكنه يؤكد بأن « هناك نور وهداية فى الحقيقة الدنيوية التى توجد ظروفها وفروضها بذاتها ، ولتعمل بحرية وإلى الأبد . » .

٦٠ ــ وقد نقلت إلى العربية تحت لفظ علمانية : « والأولى القول بفصل الدين عن الدولة أو بحصر الدين فى معنى التعبد دون امتداده لسائر شئون الحياة .

= وراجع : Encyclopacdia Britanieay. ix. p. 19 .

وراجع : الطبعة السادسة ــ ١٢ مجلد Every Mans Encydopacdia مجلد ١٠

(١) المجلد ٢٤ ــ

هذا وليس فى دائرة معارف القرن العشرين (لمحمد فريد وجدى) حديث عن العلمانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦١ ـــ وقد اعتقد البعض أنها بالفتح عَلَمانية ، نسبة إلى العَلَمَ أو إلى العالم (١)، وقد ذهب إلى هذا الرأى عالمان جليلان هما :

د / عبد الحليم محمود « شيخ الجامع الأزهر » رحمه الله حيث يقول :

« فالعلمانية هنا ترجمة عليها بصمات أداة النسب السريانية لكلمة Laique بالفرنسية ويقصدون بها « لادينية منسوبة إلى العَلَم بفتح العين لابكسرها كما يخطىء الأكثرون ، متوهمين أنها من العلم بكسر العين وليست به ، وهى بهذا تكون منسوبة إلى العَلم بفتح العين وهو العالم بفتح اللام أو الدنيا التى هى فى مقابل الآخرة .

وهذا التفسير Laiqueدهرى أو علمانى نشره اليهود فى أوربا وفى فرنسا بالذات فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر حيث تمكن دعاة العلمانية من الاستيلاء على الحكم فى فرنسا . (٢)

ـــ **ويقول د / محمد البهى ـــ رحمه الله ـــ** : « وعرف هذا الاتجاه فى محيط المجتمعات الإسلامية بعد المخالطة الفكرية بين الغرب والشرق باسم الاتجاه العَلَمانى ، ولعله منسوب على غير قياس إلى العالم بفتح اللام ـــ وهذا الاسم ترجمة للكلمة اللاتينية Seculariusالتى تعرف فى الإنجليزية باسم Seularكوصف Secularismكاتجاه ومذهب . (٣)

٦٢ ـــ لكن هذا لايتفق مع أصل الكلمة إذ هى فى أصل معناها العلم ، ذلك أن الأصل اللاتينى للكلمة Seculariusومعناه عالم متبحر . (٤)

---

(١) العلم لغة : العلامة ـــ الجبل . المعلم : الأثر ، يستدل به على الطريق العالم : الخلق . العالمون : أصناف الخلق .

(٢) مقدمة كتاب دلائل النبوة ومعجزات الرسول د / عبد الحليم محمود . طبعة دار الإنسان بالقاهرة ـــ ١٣٩٤ هـ .

(٣) الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ـــ مشكلات الأسرة والتكافل ص ١١ ، وراجع كذلك المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد ذهب هذا المذهب ، وهو ليس بحجة لما قدمنا .

(٤) وإن كانت ترجمة العلمانية بمعنى العلمية فى الإنجليزية Scientic من Science وهو العلم فإن الكلمة صارت مصطلحا على نحو ما قدمنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذ نشب الصراع أول مانشب بين الكنيسة والعلماء فقد صار العلم .. علما على الحد بين سلطان الكنيسة ومن ثم صارت Secularismعلما على عدم امتداد سلطان الكنيسة إلى العلم والعلماء ، أو علما على حصر سلطان الدين والكنيسة بعيدا عن الدولة ، ومن ثم فإننا نرى أن الكسر أولى من الفتح ، لأنها مصطلح ، ولامشاحة فى الاصطلاح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« المبحث الرابع »

تطبيقاتها وآثارها

تقدمة :ـــ

٦٣ ـــ طبقت العلمانية فى أوربا .. فماذا أنتجت ؟ وماذا كان آثارها ..؟ وانتقلت إلى شرقنا الإسلامى سريعا .. انتقال الماء أو انحداره من القمة إلى السفح فقد بدت أوربا فى عصر « العلمانية بدت فى قيمة الحضارة المادية .. وبدا الشرق الإسلامى فى السفح أو فى القاع .. معنويا .. وماديا ..

وكانت أول الهزيمة ـــ كما أسلفنا ـــ هزيمة النفس ، ولاتزال ! وامتدت آثار العلمانية فى الفراغ القائم أو الكائن فى المنطقة مع البعد عن الإسلام ومع غياب العقيدة الحقة التى كانت تملأ الألباب وتملك الألباب !

ـــ امتدت العلمانية إلى الأفراد فمسختهم !

فرأينا .. مصطفى كمال فى تركيا .. ورفاعة الطهطاوى فى مصر .. وآخرين أمسكنا عن ذكرهم !. (١)

ـــ وامتدت إلى المجتمعات فصبغتها : تعليما .. وإعلاما .. و« خلقاً » وانحلالا !

ـــ وامتدت إلى الدول فأتت بنيانها من القواعد أو كادت :

فى تركيا .. فى مصر .. فى الجزيرة العربية .. وسوف نرى بإذن الله .

أولا ـــ آثار العلمانية فى أوربا وأمريكا

٦٤ ـــ قد يكون من الصعب أن نقدم الصورة الدقيقة .. وليس تحت أيدينا من

---

(١) ليس ذكر بعض الأشخاص خروجا عن الموضوعية التى ارتضيناها منهجا ، لكنه « اضطرار » وهو ثانيا تمثل لأسلوب القرآن حين ذكر البعض بالأسماء « فرعون ، قارون ، عاد ، ثمود ، أصحاب الرس ، وأعقب ذلك » وقرونا بين ذلك كثيرا » ، وأخيرا لأن هؤلاء صاروا فى ذمة التاريخ فلم يعودوا ملك أنفسهم ولاملكا لأحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإحصاءات إلا القليل .. لكننا نحاول تقديمها .. من خلالها ثم من خلال المشاهدة [1]

٦٥ ـــ إذا نظرنا إلى الفرد : فإننا نجد العَلَمانية قد أفرغت قلبه وعقله من الدين .. لأنها أشعرته بعدم أهميته .. بل بعدم لزومه .. صحيح أننا مازلنا نرى فارقا بين العَلَمانية والإلحاد .. فالعلمانية تقدم « السلبية » بالنسبة للدين .. يستوى عندها أن يوجد أو لايوجد .. شريطة أنه إذا وجد فلا عمل له فى المجتمع ولادخل له بالدولة ـــ غير الإلحاد الذى يقدم « الإيجابية » ضد الدين .. وهو الفارق الذى يقوم فى الإنجليزية بين لفظ NONولفظ Antiفلئن عنت العلمانية « اللادينية » Nonreligousفإنها مرحلة سابقة على مرحلة أشد ارتكاسا وهى « ضد الدين » أو « معاد للدين » Antireligousهذا الفراغ الذى يعيشه الأوربى أو الأمريكى ـــ بعيدا عن الدين ، والذى اضطر الكنائس لاجتذاب « زبائن » لها [1] أن تشرع الرقص المختلط فى نهاية صلوات الكنيسة لتشجيع الشباب على الصلة بالكنيسة .

هذا الفراغ الذى يعيشه الأوربى أو الأمريكى ، خواء روحيا ، وخواء فكريا .. له أثر بعيد داخل الفرد ، فالفرد الأوربى أو الأمريكى وإن بدا سعيدا بتوافر إمكانات الحياة المادية ، لكنه فى حقيقته غير ذلك .. لأنه يحس هذا الخواء الذى لم تملأه

(١) فضلنا هذه الطريقة على النقل مما كتبه الأجانب حيث كثر النقل فى الرسائل والكتب .

(١) من إحصائية مضى عليها خمس وثلاثون عاما لكنها تعطى فكرة عن « زبائن » الكنائس والذى يتناقص فى كل يوم :

نوعية الناس	مدينة صناعية صغيرة	مدينة صناعية كبيرة	ابر شبه طبقية عائلية بباريس سانت ايوليب
مديرون ومهندسون	٥٠ ـــ ٦٠	٤٢	٢٣
مهن حرة	٤٠	ـــ	١٠
موظفون	٣٠	٣٢ ـــ ٣٥	ـــ
أصحاب حرف وعمال	٢٠	٩	٥ ر ٤
عمال مهرة يدويون	٥ ر ١٠	٦	٥ ر ٢

تاريخ البشرية المجلد السادس ـــ القرن العشرين ـــ الجزء الثانى ـــ إعداد اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ ـــ ص ٢٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلسفة حديثة ولاقديمة ، ولامحاولات اللهو الفارغة التى بلغت فى إسفافها وسقوطها دركا بعيدا .. تأنف منه بعض الحيوانات .

وكان من نتيجة ذلك إصابات بأمراض عصبية ونفسية أقلها « الاكتئاب » ، وأشدها « الصراع » و« الجنون » الذى تفشى بنسبة كبيرة لم تكن متوافرة قبل انتشار الحضارة المادية الحديثة ! وصاحب ذلك محاولات انتحار ترتفع نسبتها يوما بعد يوم وعاما بعد عام .

٦٦ ـــ وتفسير ذلك أن الغرب يعيش حياة « الضنك » التى قد تتوافر مع توافر أسباب الحياة المادية .. لأنها أمر نفسى داخلى لاعلاقة له بتوافر إمكانات الحياة أو عدم توافرها .

ومن ثم فإن « الضنك » أكثر انتشارا فى مجتمعات الرفاهية التى لهث الغرب للوصول إليها « ماديا » ونسى أنه قد ترك نصف تكوينه إذ أرضى « الأرض » دون « السماء » ، أو أشبع « الجسد » وتغافل عن « الروح » . وصدق رب العالمين : ﴿ ومن أعرضَ عن ذكرِى فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونَحْشُرُه يومَ القيامةِ أعمى ﴾[1] هذا فى مقابل المؤمن السعيد المطمئن إلى جنب الله : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ﴾ .[2]

وأى حياة أهدى من حياة بغير ضلال ؟
وأى حياة أسعد من حياة بلا شقاء ؟!

هذه لمحة عن الفرد فى أوربا ، يؤكدها النظرة الفاحصة لمن اتيح له أن يجوس خلال هؤلاء .. وتؤكدها النظرة الحزينة التى تجدها فى عينى المرأة إذا اقتربت من الخمسين لأنها عادة تعيش .. بلا رجل ، ولاابن ، ولابنت ، حتى ولو كانت قد أنجبت فإذا وصلت إلى سن أكبر من ذلك فأفضل أماكنها « مآوى » العجزة وملاجئهم ![3]

---

(١) طه آية ١٢٤

(٢) طه آية ١٢٣

(٣) وقد صاحب ذلك ظهور مذاهب عدة : ١ ـــ ظهور القومية ٢ ـــ ظهور نظريات أصل الأجناس فى القرن =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الأسر :ـــ

٦٧ ـــ فقد قل الزواج إن لم يكن قد ندر ، وفترات الاختبار التى تسبقه والتى تمتد سنين .. هى فترات الزواج « الحقيقى » ، وإن كان فى حقيقته زنا وفحش !

وغالبا ماتنتهى فترات الاختبار بالاكتفاء بها للانتقال إلى اختبار آخر .. أو للعدول عن هذه الفكرة السخيفة « فكرة الزواج » إلى فكرة المعاشرة الحرة الاختيارية بينهما دون « أعباء » الزواج [١] ، وحتى إذا اختاروا الزواج .. فهم ينفرون من الأطفال ، وقد بلغ الأمر حد أن أكثرهم إذا رزق بأطفال فإنهم غالبا لايصحبونهم فى فترات « الفسح » فى نهاية الأسابيع حتى يستمتعوا وحدهم بالفسحة دون ضجيج الأولاد ! [٢]

وبرغم التشجيع المستمر ، والميزات المادية التى تعطيها الأنظمة للأسر حتى تقوم

=١٩ مثل نظرية داروين فى النشوء والترقى . ٣ ـــ ظهور روايات تعكس التغييرات الاجتماعية مثل رواية تولستوى الحرب

والسلام عام ١٨٦٤ ، ورواية دستوفسكى (الأخوة كارامازوف) ١٨٧٩ ، والبعث لتولستوى عام ١٨٩٩ ، مدام بوفارى ١٨٥٧ (الرسالة المذكورة ص ٦٧ ـــ ٦٨) . وقد كثرت مدارس الضياع كما يسميها البعض : كالوجودية ومن زعمائها جان بول سارتر ، والرمزية ظهرت فى القرن ١٩ ومن زعمائها بودلير رامبوا ، والسريالية ـــ من المدارس المتأثرة بفرويد ولكنها تهتم بالشعر ، وأدب التفسخ : وهو أدب يميل إلى التشاؤم والابتذال . وأدب المستحيل : وهو أدب يميل إلى الإلحاد ، والأدب العدمى : وهو أدب أكثر تشاؤما . وأدب الهروب والحلم : وهو أدب يرفض الحقيقة النفسية (راجع رسالة الماجستير للأخ حسين بركات ص ١٧٨ ـــ ١٧٩) .

(١) سألت سائقة « تاكسى » عن حالتها الاجتماعية فقالت : غير متزوجة وعندى ولد ، قلت كيف ؟ قالت : من معاشرة جنسية بغير زواج ، لأننا لانحب مسئوليات الزواج !! .

(٢) نشرت الصحف البريطانية فى عام ١٩٧٧ (١٣٩٧ هـ) أنه وجد ثلاثة أطفال ميتين فى أحد البيوت ، وتبين أنهم ماتوا جوعا نتيجة سفر أبويهم فى أجازة نهاية الأسبوع وتركهم الأطفال حتى لايزعجوهم ، وقد نسى الأبوان ترك طعام للأطفال ، فى الوقت الذى وجد فيه كلبان فى نفس السكن أحياء لأن الأبوان .. لم ينسوا أن يتركوا لهما الطعام بينما نسيا طعام أطفالهم !!! .

وفى إحصائية عن بعض البلاد الأوربية (النمسا) أن تناقص عدد السكان (الأصليين) فيها نتيجة البعد عن إنجاب الأطفال . هذا التناقص يؤدى إلى انقراض شعب النمسا خلال خمسين عاما ، والمشكلة عندهم ليست فقط انقراض شعبهم ، إنها مع ذلك من الوريث ؟ وهم يعتقدون أن العرب النازحين إلى هناك (وبعبارة اخرى المسلمين) هم الوريث الأول لهم .. ومن يدرى لعل الله يحقق (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها ...) « سورة الأحزاب » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الإنجاب فإن أكثرهم لايزالون معرضين ، حتى إن بلدا أوربيا ـــ فيما علمت ـــ مهدد أن ينتهى شعبه خلال خمسين عاما .. ليرثه الأجانب الوافدون .. وبالأخص من الدول الإسلامية لأن أكثر أبنائها حريصون على الزواج وحريصون على الإنجاب ...!

٦٨ ـــ وداخل الأسرة لاتجد دفء العواطف الأسرية فى الشرق ، ومجرد أن يصل الولد أو البنت سن « البلوغ » فإن أيا منهما يقوم بالانفصال عن الأسرة وإن تلكأ فيه طالبته الأسرة . لقد شكت لى إحدى المسلمات أن أسرتها تلومها لأنها جاوزت الثامنة عشرة ولاتزال تعيش مع الأسرة .

والذى شاع ـــ بكل أسف داخل الأسرة الأوربية لإشاعة « الدفء » هو أشد أنواع الفاحشة « جرما » هو « الزنا بين المحارم » ، وأكثره مايكون بين الأخ وأخته [١] ، وأقله ـــ حتى الآن ـــ زنى الأب بابنته [٢] ، وزنا الابن بأمه .. أ

أى إنحدار ذلك الإنحدار ...؟!
إن أكثر الحيوانات تعف عن ذلك ؟!

أما المجتمع :ـــ

٦٩ ـــ فإنه مجموع هؤلاء الأفراد « التعساء » ، ومجموع تلك الأسر المفككة المنحلة ، إضافة إلى « انعدام » العلاقات بين الجيران .. حتى إن الواحد إذا مات لايعرف إلا من رائحته النتنة التى تتصاعد بعد أيام من موته .

وذلك فضلا عن شيوع « الأمراض الجنسية الخطيرة » فى المجتمعات الأوربية نتيجة الزنا واللواط .

وإذا كانت الإحصاءات تدل على أن رجال الدين : ٨٠ ٪ منهم زناة ،

---

(١) الهيرالدتريسون البريطانية نقلا عن مقال للدكتور / محمد على البار (المدينة العدد ٩٠٩٣ فى ٢٨ / ٢ / ١٤٠٤ هـ) .

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٨٢ ـــ مجلد ١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٠ ٪ منهم شذاذ [١]... فكيف تكون النسبة بين أفراد المجتمع الآخرين ؟ وقد كان نتيجة ذلك كما تدل الإحصاءات :ـــ

ـــ مليون حالة إجهاض سنويا فى الولايات المتحدة .

ـــ مليون حالة إجهاض سنويا فى أوربا « عدا أسبانيا والبرتغال » .

ـــ مليون حالة إجهاض سنويا فى أسبانيا والبرتغال « لتحريم الدين الكاثوليكى حبوب منع الحمل ، ولكثرة السياحة هناك » .

ـــ ٣ مليون حالة إجهاض سنويا فى أمريكا اللاتينية .

ـــ ٦٠٠ر٠٠٠ حالة ولادة من سفاح فى الولايات المتحدة الأمريكية ، منها ١٠٠ر٠٠٠ حالة دون سن الرابعة عشرة !

ـــ ٨٠ ٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم وقريبا من النسبة زوجات تخن أزواجهن [٢]

ـــ أما تجارة البغاء ، فرائجة ومنتشرة رغم رواج الزنا واللواط والإباحية ، أمر تعجب له ...

وفى رأى الأوربين فى سبب انتشار البغاء أنه ـــ بمعاييرهم المادية ـــ أقل تكلفة من الصداقة والمخادنة .. فمايقدمه الصديق لصديقته يفوق تكلفة البغاء ، فضلا عن أن صنفا من الرجال قد لايجد الصديقة بسهولة ، ومن ثم فهو يجد « البغى » بكل سهولة !!

والبغاء لم يعد قاصرا .. على حاملى رخصة البغاء .. إنه أحيانا يمارس من سيدة البيت المحترمة ـــ بعلم زوجها ـــ لتحسين حال الأسرة أو شراء شىء فى البيت لايتوفر من الدخل الثابت للأسرة !!!

هل هذه مجتمعات ينتظر لها البقاء .. أم أن الهلاك قد اقترب منها أيما اقتراب !

---

(١) المقال المذكور وآخر بالعدد ٦٠٥٨ فى ٢٢ / ١ / ١٤٠٤ هـ والمقال يرجع الإحصاءات إلى مصادرها ، وقد وافق مجلس اللوردات على إباحة الشذوذ الجنسى فى بريطانيا عام ١٩٦٥ .

(٢) راجع ماجاء بالمقاييس السابق الإشارة إليها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـــ أما نسبة الجرائم فقد تزايدت بصورة رهيبة ، وفى إحصائية عن الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة : ١٫٧٥٠٫٠٠٠ جريمة خطيرة كل عام ، وقـــبض على ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طفل مابين ٧ ـــ ١٧ سنة ، كما وصلت حالات الانتحار ٢٠٠٫٠٠٠ حالة كل عام .. (١)

ثانيا : آثار العَلمانية فى المنطقة الإسلامية

٧٠ ـــ انتقلت العلمانية إلى شرقنا الإسلامى .. إما انحدار الماء من القمة إلى السفح ، أو انتقالها خلال الأوانى المتسطرقة ، وإما انتقال الجرثومة يحملها جسد صحيح أو مريض ، أو انتقال الجراثيم تنفثها حرب كيماوية رهيبة لاترعى « ضميرا » ولا « إنسانية » والنماذج الأولى نماذج لانتقال العلمانية « تلقائيا » وفقا لسنن الكون والطبيعة ..

والنموذجان الأخيران نماذج لانتقال العلمانية وفقا « للتخطيط » المسبق أو العمد والإصرار المقترنين بالجرائم الكبيرة !

وسوف نقدم نماذج لأفراد « مرضت » ونقلت الجراثيم .. ثم نقدم تحليلا للمجتمعات الإسلامية بعدما أصابتها الجراثيم ، ثم نماذج لبلاد إسلامية ـــ يتهددها الخطر .. بعد أن أصيبت مجتمعاتها بهذه الجراثيم !

١ ـــ آثار العلمانية فى الأفراد :ـــ

٧١ ـــ هذا هو النموذج الأول ، نقدمه من خلال بعض لأفراد :

فى تركيا .. مثل ضياء كوك الب ، ومثل مصطفى كمال (الشهير بأتاتورك) وفى مصر .. مثل : رفاعة بك رافع الطهطاوى ، على عبد الرازق ، طه حسين ! منهم من

---

(١) ويشير أحد الكتاب إلى أثر العلمانية فى الفكر الغربى متمثلا فى :

١ ـــ نظام الاقتصاد القائم على الربا .

٢ ـــ القانون الوضعى المنفصل عن شرائع الله .

٣ ـــ التعليم اللادينى المتحرر من نفوذ الكنيسة .

٤ ـــ الديمقراطية التى تحل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة .

راجع سقوط العلمانية ـــ أنور الجندى ص ١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حمل العلمانية عن قصد .. قناعة منهم بأنها طريق التقدم ، أو عمالة منهم لحساب أعداء الله .. يأخذون مقابلها المناصب والأموال !

أوحملوها عن غير قصد .. عفوا منهم كما يحمل الجسد الصحيح الجرثومة دون أن يحس أنه يحمل جرثومة ينقلها ليبتلى بها غيره من الأجساد الضعيفة أو قليلة المناعة .. بل لقد كانوا هم الجرثومة التى أمرضت مجتمعاتهم ولنأخذ شيئا من الأمثلة لهذه النماذج « الوطنية » .

ضياء كوك الب :ـــ

٧٢ ـــ من أبناء تركيا [١] بلغ حد التأثير فى الجيل التركى الجديد ، **وعين أستاذا أول لعلم الاجتماع بجامعة استنبول عام ١٩١٥ م** « بمواهبه الشخصية » **عين عام ١٩٢٢ رئيسا للجنة التأليف والترجمة ، كان يؤيد مصطفى كمال بقوة وحماس** ، وحمل لواء « علمنة تركيا » فكريا . يقول الأستاذ الندوى ـــ أكرمه الله :ـــ

« إن ضياء كوك دعا بكل قوة وصراحة إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، وتكوينها تكوينا قوميا خالصا ، وإيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التى ساهم الأتراك على زعمه فى تكوينها وحراستها .

يقول ـــ أى كوك ـــ فى مقالة له : « إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط القديمة ، وكان مؤسسو هذه الحضارة التى نسميها بحضارة البحر الأبيض المتوسط من الأتراك مثل الفينيقيين والرعاة ، لقد كان فى التاريخ عصر طورانى قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجدادنا ، وفى زمن متأخر جدا رقى الأتراك المسلمون هذه الحضارة ونقلوها إلى

---

(١) ولد بها عام ١٨٧٥ أو ١٨٧٦ (فى دياربكة) ومات فى عام ١٩٢٤ فى الثامنة أو التاسعة والأربعين ، التحق بالمدرسة الثانوية ثم العسكرية ، درس الأدب والرياضيات والتاريخ واللغة الفرنسية والعلوم الشرقية ، وكانت أفكار الثورة الفرنسية التى تسربت . أعجب بهيجل Haeckel وبشنر Buchner واسبنسر spencer ولى بون Lebon ، وسافر فى عام ١٨٩٦ إلى قسطنطينية ، التحق بجميعة الاتحاد والترقى وثارت هذه الجماعة عام ١٩٠٦ ضد النظام الجائر بقيادة ضياء ، خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ ، أصدر ضياء جريدتين بيام ، Pècle (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ـــ الندوى ص ٣٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأوربيين ، وبتحطيم الامبراطوريتين الرومانيتين الغربية والشرقية أحدث الأتراك انقلابا فى تاريخ أوربا ، لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية ولنا سهم فيها » .

ثم يقول : « حين تقطع أمة شأوا بعيدا فى نشوئها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضا ، لما كان الأتراك قبائل رحالة فى آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، ولما انتهوا إلى عصر « السلطنة » دخلوا فى مساحة الحضارة البيزنطية ، والآن فى طور انتقالهم إلى الحكومة الشعبية هم مصممون على قبول حضارة الغرب » .

ثم يقول : « وإن شعوبا تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة ، إن اليهود واليابانيين يشاركون الأوربيين فى حضارة واحدة .»

وعلى ذلك فالدين شىء ، والحضارة شىء آخر ، وينسى الفارق بين طبيعة الدين الإسلامى والدين المسيحى فيقول : « ليس الدين اسما لمجموعة من المؤسسات المقدسة والعقائد والتقاليد ، فالمؤسسات التى لاتحمل قدسا وتمجيدا دينيا (كالأفكار العلمية التطبيقية والأدوات الصناعية ومثل الجمال) تؤلف نظاما مستقلا يخرج عن نطاق الدين والعلوم الإيجابية : كالرياضيات والعلوم الطبيعية ، وعلم النفس وعلم الحياة ، والاجتماع ، والطرق الصناعية والفنون الجميلة لاتمت بصلة إلى الدين ، لذلك لايصح أى ارتباط للحضارة بالدين ، ليست هناك حضارة مسيحية ولاحضارة إسلامية ، فكما لايصح أن تسمى الحضارة الغربية حضارة مسيحية كذلك لايصح أن تسمى الحضارة الشرقية حضارة إسلامية .

ثم أشار إلى سبب نهضة الروس « رغم أنهم شرقيون » « وهذه الحقيقة التاريخية تكفى لإثبات أن الحضارة الغربية هى الشارع الوحيد إلى التقدم » (١)

« علينا أن نختار إحدى الطريقتين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب » ـــ لابد أن نختار أحد الأمرين . (٢)

(١، ٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم لايترك الاختيار إلى من يخاطب بل يمضى ليقول :

« يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لندافع عن حريتنا واستقلالنا » [1] كل ذلك بغير إشارة واحدة إلى تميزنا بشيء عن الغرب أو احتفاظنا بشيء غير الحضارة الغربية !!

ويعلق على ذلك صاحب كتاب القومية التركية والحضارة الغربية : « وكان ـــ أى كوك ـــ يتخيل القومية التركية كأساس دولى عالمى ، ويرى فيها عوضا عن الخلافة الإسلامية .. » [2]

ثم يقول : « ومع أن دراساته عن الاجتماع والمدينة الشعبية والتاريخ ليست لها قيمة علمية كبيرة إذا قورنت بمؤلفات علماء تركيا الحاضرة وغيرها ، ولكنه لايستهان بقيمته كزعيم لهذا الاتجاه ومؤسس هذه المدرسة » .

وإن بعض مفاهيمه نسيت أو أغفلت فى تركيا الجديدة ، أو أنها تعتبر اليوم تافهة ولايلاحظ فيها ابتكار وطرافة ، مع أنها كانت تبدو فى عصره جديدة ومبتكرة فذلك لأنها أصبحت الآن حقائق ، ويتجلى من ذلك عمق تأثيره وسعة أفقه ونظره . [3]

مصطفى كمال الشهير « بأتاتورك » :ـــ

نأخذ من كتابات معجبيه [4] فنسجل عليه مايلى :ـــ

٧٣ ـــ يقول عرفان أوركا Irfan Orga« كان قليل الاختلاط فى حياته المدرسية يثور ويهيج بسرعة ، شديد الغرام بالإناث ، يجذبه هذا الجنس (Sex) كالمغناطيس .

ـــ كان يتسلى بالخمر ويشغل بها نفسه لأنه لايجد ما يسلى نفسه وروحه كالإيمان

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٢ ، ٣) المرجع السابق ١٤٢١٣ ـــ ٣١٢٣٠ .

(٤) الذئب الأغبر لارمستونج ، أتاتورك لعرفان أوركا ، مذكرات رضا نور (أحد وزراء مصطفى كمال) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالله واليوم الآخر ، لأنه كان لايؤمن بهما(!)

ـــ كان يشعر بفرح وسرور عندما يعتدى على الجنس الآخر ويسطو به وكانت هذه طبيعته التى فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة فى تصرفاته .

لـم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لايرى أحدا يوازيه ... (١)

ـــ ويذكر له رضا نور فى مذكراته « حوادث خلقية » نعف عن ذكرها ..

ـــ ويمضى أوركا : « وقد هضم فى شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك الب هضما جيدا ، وقد كافح ضياء كوك الب للتنور والحرية الدينية ، وكان رائد التنور الفكرى الغربى ، وقد تكهن فى سنة ١٩٠٠ م بانقـراض الدولـة العثمانيـة واضطـراب حبلها ...

وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاة الـمحاكم الدينية الذين هم يشرحون القانون الإسلامى ويفسرونه ، وكان يرى أن تقام الـمحاكم الحديثة والـمحاكم الـمدنية .

ـــ ويذكر عنه أرمسترنج قصة لها دلالة بعيدة :

ذكر أنه تعرف أثناء حرب تركيا بفتاة أو سيدة تدعى « لطيفة هانم » وأنه حاول خلال الـمعارك أن يراودها عن نفسها بعد أن نقل مقر قيادته إلى « مخدعها » لكنها تأبت .. فتزوج منها .. ودام زواجه منها شهرا .. أيمكن أن يكون هذا الزواج الذى شرعه رب العباد .. وقد قال الفقهاء فيه أن من شروط صحته « نية التأبيد » .

وهل يمكن أن نستظهر وجود هذه النية « نية التأبيد » « من خلال هذه الوقائع » ؟ أم أننا يمكن أن نطرح السؤال بصيغة أخرى .. هل كانت هناك أصلا « نية الزواج » ؟!

ـــ ويمضى « أوركا » فى تحليل لنفسيته وشخصيته فيقول : « **لقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه الأكبر ، وكان يعتقد من صغره أن لاحاجة إلى الله** (!!) إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة (!)

وكان لا يؤمن إلا بالمشاهـد المحسوس ، ويضيـف أنـه كان فى آخـر عهـده يرفـع

(٢) مذكرات رضا نور ـــ نشر ملخص لها فى مجلة المجتمع على حلقات ، وهى تحت الطبع ككتاب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا (!!)، وكان يرى أن الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجمود بتأثير الإسلام ، وكان يبغض الرجل الذى يخضع للقضاء والقدر ويقول : « هكذا أراد الله » « وهذا الذى قدر لى » وكان يعتقد أن لاوجود للاله والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول : **إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة الإله** ، ومضى يقول :... لذلك لم يمنعه شيء عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشيئا لاحاجة إليه ، ولكن الذى أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو الإله الجديد أى : الحضارة الغربية .. وقد تعلم من تاريخ المرئيات الأخرى أن الآلهة القديمة تموت بصعوبة وعسر .. لذلك لاتخرج عقيدة الإله من قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة » .

وفى موضع آخر :

« وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضا شديدا .. وكان يقول .. نحن فى طريق الحضارة والمدنية ويجب أن نعتز بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين من نواحى العالم الإسلامى ماذا يعانون من المصائب والنوازل والدمار ؟ ـــ لماذا ـــ لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للانسجام مع هذه الحضارة السامية المشرقة [1] وهذا سبب بقائنا مدة طويلة فى الحضيض ووراء الركب ... وفى موضع ثالث يتحدث عن بعده عن الدين بل رفضه له :

« لم يكن ذلك سرا أن مصطفى كمال رمى المصحف على رأس شيخ الإسلام ... » ثم يعود لحديث الحضارة : « .. وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة) بحماس ولهفة ، وكان له دائما أبدا وفيا ، وقد نشر هذه الكلمة « الحضارة » من أقصى البلاد إلى أقصاها ، وعندما يتحدث عن هذه الحضارة تتقد عيناه لمعا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة .

وأما تصوره للحضارة فتدل عليه كلماته ثم أفعاله :ـــ

٧٤ ـــ أما كلماته :

يقول مصطفى كمال لشعبه : « يجب علينا أن نلبس ملابس الشعوب المتحضرة

(١) المرجع السابق : ٢٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الراقية (!) وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة راقية ، ولا نسمح لمن يجلهنا من الشعوب الأخرى بالضحك علينا وعلى موضتنا القديمة (!) نريد أن نسير مع التيار والزمن . (١)

وفى مناسبة إلغاء الخلافة « ٢ آذار / مارس ١٩٢٤ » تقيأ قيحا وصديدا فقال :

« إن الامبراطورية العثمانية قامت على أسس الإسلام ، إن الإسلام بطبيعته ووضعه (عربى) وتصوراته (عربية) وهو ينظم الحياة من ولادة الإنسان إلى وفاته ، ويصوغها صياغة خاصة « انظر كيف كان يعلم حقيقة الإسلام » ، ويخنق الطموح فى نفوس أتباعه ، ويقيد فيهم روح المقاومة والاقتحام ، والدولة لاتزال فى خطر مادام الإسلام دينها الرسمى » . (٢)

وأخيرا فقد كان يردد :

« أنا تركيا ، هزيمتى هزيمة تركيا .. » (٣) وفى مكان آخر : « انتصرت على العدو وفتحت البلاد هل أستطيع أن أنتصر على الشعب .. » ؟

ففضلا عن كفره وجحوده بالدين .. فقد كان رجعيا فى تعبيره إذ استعمل تعبير لويس السادس عشر : الدولة هى أنا Létat C'wst Moi وكان يتمنى الانتصار على الشعب !!

٧٥ ــ وأما أفعاله :ــ

فقد ذكر مادحوه قبل قادحيه !

١) منع الطربوش ، وإلزام القبعة .. حتى سميت معركته فيها « حرب القبعة

---

(١) المرجع السابق ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدموية » (!)

٢) إعدام رجال الطبقة الدينية .

٣) طرد الخليفة وإلغاء الخلافة .

٤) جعل الدولة عَلَمانية .

٥) العمل بالقانون المدنى السويسرى .

٦) العمل بالقانون الإيطالى الجنائى .

٧) العمل بالقانون التجارى الألمانى .

٨) منع التعليم الدينى .

٩) إلغاء الحجاب وفرض السفور وتقرير التعليم .

١٠) إلغاء الحروف العربية وفرض الحروف الاتينية .

١١) منع الآذان بالعربية وفرضه بالتركية ، ذكر مؤلف : « الرجل الصنم » أنه سمع الآذان يوما يردد : « أشهد أن محمدا رسول الله ... فقال كيف يذكر اسم هذا الرجل « يعنى رسول الله ﷺ » خمس مرات فى اليوم أكثر مما يذكر اسمه (!!!) ويذكر أن هذا كان سبب تحطيم مئذنة جامع أيا صوفيا وتحويله إلى متحف .

وفى عبارة موجزة « لقد حطم الأساس الدينى ، وغير وجهة نظر الشعب التركى والحكومة التركية »[1] .

٧٦ ـــ وفى تقويم سريع لمصطفى كمال ، نقول بعون الله :

أنه أحدث وقتها ردود فعل مختلفة :

ـــ فالجاهلون والحمقى والخائنون[2] .. أعجبوا به أيما إعجاب ، وتمثل الإعجاب فى تقليد البعض له أو إعلان الإعجاب بمبادئه ، وتقليد خطواته مع شىء من التنقيح أشرنا إليه عند الحديث عن صناعة الزعماء .

ـــ وأعداء الله ... قد سجلوا إعجابهم كذلك وبدأت من بعدها صناعة

---

(١) ارمسترنج فى : Grey Woolp - P. 287 .

(٢) وبلغ الإعجاب حد قبول بعضهم أن يكون طبعة جديدة له .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزعماء . (١)

ـــ أما المسلمون ... فقد انقسموا فريقين : الغالبية العظمى .. لم تملك غير الدموع تسكبها على الخلافة وتسجل حزنها على ذهابها ، وترجمها البعض ترجمة شعرية أمينة . (٢)

أما الأقلية فلجأت إلى العمل .. فكان فى مقدمتهم إمام ملهم .. أقام جماعة فى

---

(١) وقد بدأت من يومها فى المنطقة الإسلامية صناعة جديدة هى : صناعة الزعماء .. وقد أشار إليها صاحب كتاب لعبة الأمم حين أشار إلى أنهم لو لم يجدوا « ناصرا » لصنعوا « ناصرا » وقد كان المذكور هو الطبعة المنقحة لمصطفى كمال وكان لايكتم إعجابه بمصطفى كمال ، أما الطبعة الثانية من مصطفى كمال فقد كان أنور السادات الذى أعلن أكثر من مرة إعجابه وإعجاب أبيه بمصطفى كمال ، كما كان يردد شعار العلمانية التى أكدها فى تركيا مصطفى كمال .. لادين فى السياسة ولاسياسة فى الدين .

(٢) عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... فى كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكى عليك، بمجمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح
يالليرجال لحرة موءودة ... قتلت بغير جريرة وجناح
خلعوا عن الأعناق خير قلادة ... ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالى دونه ... قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها ... كانت أبر علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... فى كل غدوة جمعة ورواح
إن الغرور سقى الرئيس براحه ... كيف احتيالك فى صريع الراح (*)
نقل الشرائع والعقائد والقرى ... والناس .. نقل كتائب فى الساح
تركته كالشبح المؤلله أمة ... لم تسل بعدد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو ... حتى تناول كل غير مباح

* * *

فلتسمعن بكل أرض داعيا ... يدعو إلى الكذاب أو لسجاح (* *)
ولتشهدن بكل أرض فتنة ... فيها يباع الدين بيع سماح
يفتى على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس وحقدها الملحاح

(*) براحة أى بخمرة إشارة إلى نشوة الغرور بالانتصار الزائف والراح هى الخمر .
(* *) (الكذاب : هو مسيلمة الذى ادعى النبوة ، وسجاح امرأة فعلت مثله) أمير الشعراء أحمد شوقى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة أهدافها « إعادة الخلافة الإسلامية العظمى » .. مرة أخرى ، وأن تحفظ بأن دون ذلك خطوات .. وخطوات .[1]

٧٧ ـــ وأما نهايته ، فقد سجلتها له وثيقة عرفت أخيرا ، لقد كان يريد أن يستخدم سلطته الدستورية فى اختيار خليفة له فاختار السفير البريطانى ليحكم الشعب[2]

---

(١) راجع ماكتبه الأستاذ الندوى تحت عنوان « تأثير أتاتورك فى العالم الإسلامى » وإن اكتفى بتسجيل الشعور الأول .

(٢) نشرت (صنداى تايمز) صفحة من أغرب صفحات أسرار التاريخ الدبلوماسى بعنوان « كيف رفض رجلنا أن يحكم تركيا » ، قالت الصحيفة : « أنه فى نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد ١٥ سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لباس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية . وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت كان يخشى أولا أن لايجد شخصا يخلفه قادرا على استمرار هذا العمل الذى بدأه فاستدعى السفير (بيرى لورين) السفير البريطانى إلى قصر الرئاسة فى استانبول

أما مادار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما ، وها هو اليوم يكشف النقاب عنه ـــ لأول مرة ـــ على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (السيربيرسون ديكسون) فقد كان بين أوراق (ديكسون) برقية بعث بها (بيرس لورين) إلى اللورد (هالفاكر) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة تاريخية فى التاريخ البريطانى المعاصر على الإطلاق ففيها يروى (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الدكتاتور ، المختصر :

عندما وصلت .. وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحيط به طبيب وممرضتان .. وما أن دخلت حتى نادى الرئيس الطبيب والممرضتين قائلا لهم : إنه سيضرب لهم الجرس إذا احتاج لهم ، وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة وقال لى : إنه أرسل فى طلبى لأنه يريد أن يطلب منى طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابى عليه بطريقة قاطعة .

ولقد كانت صداقتى ونصيحتى إليه هى الوحيدة التى كانت ثابتة لاتتغير وكان هذا هو السبب الذى جعله يستشيرنى فى مناسبات متعددة .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا فى مجلس الوزراء التركى . ولقد كان من سلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته ، وقد كانت أخلص رغبة له هو أن أخلفه فى منصبه الرئيس ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلى لمثل هذا الاقتراح . وبعد بضع دقائق من التفكير الصامت قلت لفخامته : إن جوابى هو أنى عاجز تماما عن أن أجد الكلمات التى تعبر عن مشاعرى بصدق أو بما فيه الكفاية ، وبالفعل فقد كانت مشاعرى فى هذه اللحظة مهزوزة بأعمق مما أستطيع أن أذكر أننى أحسست به من قبل أى وقت آخر من حياتى ، فبهذا الاقتراح أطال فخامته لونا فريدا من الثناء والمديح لالشخصى أنا فحسب ، وإنما للسياسة الخارجية لحكومة صاحب الجلالة ... ولكننى كنت أشك تماما فيما إذا كانت أفضل ملكاتى تتركز فى المقدرة الادراية كما أن مسئوليات السفير البريطانى تختلف تماما عن مسئوليات رئيس الجمهورية التركى ، وأضفت بأن قدراتى وتجربتى تليق أكثر ما تليق باستمرارى فى صفتى الثانية ، وعلى ذلك فإننى لاأجد سوى أن أعتذر آسفا ولكن بحزم ... (راجع كتاب ـــ الرجل الصنم ـــ وقد أشار إلى تفصيلات أخرى ...) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التركى المسلم !! .

رفاعة بك الطهطاوى :ـــ

٧٨ ـــ لايزال هذا الاسم يقرن « بحرية الفكر » فما هى القصة ؟

رجل من صعيد مصر .. الذى يلتزم الكثير من التقاليد وهو فضلا عن ذلك .. من علماء الأزهر الشريف .

كان ابتعاثه فى أول بعثة ذهبت فى عهد محمد على إلى أوربا ، وقد طلب الأخير إلى شيخ الجامع الأزهر « الشيخ العطار » اختيار إمام (!!) للدفعة فوقع اختياره على الشيخ الطهطاوى ، وقد كان يعامل ماليا معاملة « اليوزباشى » [١] وصحبه مدير البعثة الفرنسى مسيوجومار والمستشرق البارون دى سامى .

وتعلم رفاعة اللغة الفرنسية ثم درس التاريخ والجغرافيا والفسلفة والآداب الفرنسية ، وقرأ مؤلفات فولتير وجان جاك روسو ، ومونتسكيو وراسين ، كما كان يجتمع بطائفة من العلماء والمستشرقين .

ابتعث إلى باريس بين عام ١٨٢٦ ـــ ١٨٣١ وعاد فألف :

* * مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية :

* * المرشد الأمين للبنات والبنين .

* * تلخيص الإبريز فى وصف باريز « يقصد باريس » عاصمة فرنسا .

وكان من آرائه التى حملها :

١) جميع مايجب على المسلم للمسلم يجب على أعضاء الوطن « تعبير جديد » ، من حقوق بعضهم على بعض ، لما بينهم من الحقوق الوطنية ، فضلا عن الحقوق الدينية ، فيجب أدبا (!) لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه . [٢]

---

(١) رتبة عسكرية تساوى « النقيب » حاليا .

(٢) مناهج الألباب .. ص ٦٦ . مصر ١٢٨٦ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢) ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنساويين ، وهى من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية .. ومايسمونه بالحرية عندهم ويرغبون فيه هو عين مايطلق عندنا العدل والإنصاف ، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو التساوى فى الأحكام والقوانين ، فهذه البلاد حرية بقول الشاعر : (١)

وقد ملأ العدل أقطارها وفيها توالى الصفا والوفا

٣) ويصل إلى أن مدنية الغرب تقدم على نفس أسس مدنية الدين ، إن صح التعبير .

لأن من زاول علم أصول الفقه ، وفقه مااشتمل عليه من الضوابط والقواعد جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى باقى الأمم المتمدنة إليها وجعلوها أساسا لوضع قوانينهم « قوانين تمدنهم » وأحكامهم قلّ أن تخرج عن تلك الأصول التى بنيت عليها الأصول الفقهية ، التى عليها مدار المعاملات فيما سمى عندنا بعلم أصول الفقه ، يشبه مايسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهو عبارة عن قواعد عقلية تحسينية وتقبيحية ، يؤسسون عليها أحكامهم المدنية ، ومانسميه بالعدل والإحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية ، ومايتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين والتوسع بحمايته ، ممايفضلون به على سائر الأمم فى القوة والمنعة يسمونه محبة الوطن . (٢)

٤) وبالجملة (فالتياترو) (أى المسرح) عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل . (٣)

٥) وأن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لايأتى من كشفهن أو سترهن (!!) بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة ، والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك فى المحبة بين الزوجين (٤)

٦) أن الرقص عندهم فن من الفنون ... فهو نظير المصارعة فى موازنة الأعضاء ودفع قوى بعضها إلى بعض ، فليس كل قوى يعرف المصارعة .. وما كل راقص

---

(١) مناهج الألباب .. ص ١٠٥ .

(٢ ، ٣ ، ٤) تلخيص الإبريز ص ١٦٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقدر على دقائق حركات الأعضاء ، وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد يعرف بالتأمل ، ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة (الأناقة والفتوة) ، بخلاف الرقص فى أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات ، أما فى باريس فإنه نمط مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبدا ! ، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية ، وهكذا سواء كان يعرفها أم لا . (١)

٧٩ ــ وقد علق على ذلك أحد الكتاب : (٢)

يزعم فريق من الناس أنهم ملائكة مطهرون ، ويخاصر أحدهم المرأة الناعمة الحسناء بيسراه وأصابع يمناه تضغط أنامل يسراها ، وصدره على نهدها ، وعيناه تناجيان عينيها ، وشذى عطرها يسكره ، وبخار لهيبه يحرقها ، والساق تلتف بالساق حينا ويتجاوزها حينا آخر ، والقدان يمسيان ذات اليمن ، ويموجان ذات الشمال ، كل ذلك ودقات « الجازباند » هائجة تثير من الغرائز وتفور بها كما يفور التنور ، والأضواء تسطع تارة لتبهر الأبصار وتضؤل أخرى لتوحى إلى المتخاصرين أشجان الظلام وصاحبنا لحم ودم ، وصاحبتنا لحم ودم ثم يزعم هو و تزعم هى أنهما يفعلان طلبا للرياضة البدنية الطاهرة ، وتنشيطا للدورة الدموية الراكدة ، كما يمشى الجندي على أنغام الموسيقى ، وكما يلاعب الرجل صاحب كرة القدم .

٨٠ ــ وفى تقييم سريع لرفاعة رافع الطهطاوى نقول بعون الله :

إنه فيما يبدو لنا ــ لم يكن عامدا إلى العلمانية عالمها بها ، وإنما حدث لديه « خلط » و« خبط » نتيجة الانتقال من « الانغلاق » إلى « الانفتاح » فأفلت منه الزمام .. فجعل حقوق الوطنية كحقوق المسلم على المسلم .. مع اختلاف النبعين اختلافا بينا ... اختلاف الأرض عن السماء ! وخلط الحرية التى قيل إنها تعنى الانطلاق من كل قيد حتى قيد الدين بالعدل والانصاف المستمد من الله العدل فى كتابه العدل !

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٢) محمد توفيق دياب (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ٢ ص ١٩٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخلط كذلك بين أصول الفقه التى تقوم عليها الاجتهادات الفقهية التى غايتها بيان حكم الله فى أمر من الأمور ، خلط بينها وبين الأسس التى تقوم عليها قوانينهم وهى أسس وضعية لاتخلو من الظلم والهوى والباطل والقصور ! صورة من النبع الذى استقت منه !

ثم يخبط بعد ذلك فى حديثه عن « التياترو » « المسرح » ، وحديثه عن مصدر العفة فى النساء ، وحديثه عن الرقص الذى تتلاصق فيه الأجساد وتختلط الأنفاس وترقص حوله الشياطين ... فينفى عن هذا اللون من الرقص عهر ...

وقد قسونا على الرجل فى غير هذا المكان .. [1] لكنا نحسبه من « الجاهلين » والله يغفر لنا وله ، آمين .

على عبد الرازق :ـــ

٨١ ـــ أحد علماء الأزهر ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده [2] كان يعمل قاضيا شرعيا ، أخرج كتابه « الإسلام وأصول الحكم » غداة إلغاء الخلافة ، قيل إن المندوب السامى البريطانى كان يسانده ، ولذا وجه إليه فاتحة الكتاب ، ولاذ به من إيذاء المؤذين ، وقيل إن ذلك كان فى مواجهة الحملة التى قادها الأزهر بتشجيع من ملك البلاد [3] الذى كان يشرئب لتكون إليه الخلافة بعد إلغائها فى تركيا وطرد خليفتها .

وأيا كانت الظروف والأسباب فإننا نترك لكلمات الرجل الحكم عليه :ـــ

أ) أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعا من الدين فى شىء ووصفها بأنها « خطط دنيوية صرفة ، لاشأن للدين بها ، فهو ـــ أى

---

(١) الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك .

(٢) يقول : H.R. Gibb وقد بدأ تلاميذ الشيخ محمد عبده المخلصون حتى فى حياته يظهرون بمظهر واضح صريح ، وقد كان هو نفسه فى مادة العقيدة يعارض قبول كل شىء دون مناقشة ، أى يعارض (التقليد) كما يقال فى الإسلام ، وهذا الآن يعتبر لبنة فى بناء الحركة المتميزة أو خشبة الخلاص فى حركة التحرر العلمانية . (الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ص ٧٢) .

وفى مكان آخر « إن تلامذته الحقيقيين يمتزجون بالصفوف التى أنشئت إنشاء أوربيا ويمضمون للحلقات العلمانية (الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ص ٨٤) .

(٣) الملك فؤاد الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدين ـــ لم يعرفها ولم ينكرها ولاأمر بها ولانهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسية » . (١)

ب) اتبع طريقة « التساؤل لإثارة الشك أو التشكيك .. فكان منها : هل جمع رسول الله ﷺ بين الرسالة والملك ، أم انحصرت كل مهمته فى الرسالة ؟ .. ثم يمضى : لايهولنك البحث فى أن الرسول ﷺ كان ملكا أم لا ، ولاتحسبن أن ذلك البحث ذو خطر فى الدين قد يخشى شره على إيمان الباحث ، فالأمر إن فطنت إليه أهون من أن يخرج مؤمنا من حظيرة الإيمان ، بل أهون من أن يزحزح المتقى من حظيرة التقوى .» (٢)

جـ) إذا ترجح عند بعض الناظرين اعتبار تلك الأمثلة ، واطمأن إلى الحكم بأنه ﷺ كان رسولا وملكا ، فسوف يعترضه عندئذ بحث آخر جدير بالتفكير فهل كان تأسيسه ﷺ للمملكة الإسلامية وتصرفه فى ذلك جانب شيئا خارجا عن حدود رسالته ﷺ ، أم كان جزءا مما بعثه الله له وأوصى به إليه ؟

د) ثم يعود إلى أسلوب « لبس الحق بالباطل » فيقول : « ولاية الرسول على قومه ولاية روحية ، منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا تاما يتبعه خضوع الجسم وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال تلك ولاية هداية من الله وإرشاد إليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك زعامة دينية ، وهذه زعامة سياسية ، ويابعد مابين السياسة والدين » (٣)

هـ) ثم يعود للتساؤل المشير إلى الشك أو التشكيك :

« هل كان له ﷺ صفة غير صفة الرسالة بها يقال أنه أسس فعلا أو شرع فى تأسيس وحدة سياسية أم لا ؟ وهل كانت زعامة النبىّ ﷺ فى قومه زعامة رسالة أم

---

(١) ص ١٨٢ من المرجع المذكور ـــ نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ـــ الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .

(٢) المرجع المذكور ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زعامة ملك ؟! »

وهل كانت مظاهر الولاية التى تراها أحيانا فى سيرة النبى ﷺ مظاهر دولة سياسية أم مظاهر رياسة دينية ؟

وهل كانت الوحدة التى قام على رأسها النبى عليه الصلاة والسلام وحدة حكومة ودولة ، أم وحدة دينية صرفة لاسياسية ؟ وأخيرا هل كان ﷺ رسولا فقط أم كان ملكا ورسولا ؟ (١)

و) ويحاول الإجابة بعدما أشار :

« لعلك الآن اهتديت إلى ماكنت تسأل عنه قبلا ، من خلو العصر النبوى من مظاهر الحكم وأغراض الدولة ، وعرفت كيف لم يكن هناك ترتيب حكومى ، ولم يكن ثمة ولاة ولاقضاة ولاديوان ، ولعل ظلام تلك الحيرة التى صادمتك قد استحال نورا ، وصارت النار عليك بردا وسلاما » .

وأخيرا يكشف الأوراق فيصرح : « لاشيء فى الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى فى علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق (٢) الذى ذلوا له واستكانوا إليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ماأنتجت العقول البشرية ، وأمتن مادلت عليه تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم » .

٨٢ ـــ وفى تقويم سريع :

حمل على عبد الرازق بطريقة التساؤل والتشكيك فكرة فصل الدين عن السياسة ذلك الفكر الذى تردد من قبل على ألسنة دعاة العلمانية فى الغرب ، وراح يدعم رأيه بأمور من السيرة يلتوى فيها التواء .. ولم يقدم دليلا واحدا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ...

ـــ وفى رد سريع على : على عبد الرازق نقول بعون الله :

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢) يقصد نظام الخلافة (!!!) كما هو واضح من السياق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد كان تعريف الخلافة التى يحاول إبعادها عن الدين « خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » ، والبعض يجعل العبارة الأخيرة وسياسة الدنيا به » وهى مفهومة بالضرورة من السياق .

ومعنى ذلك أن سياسة الدنيا قسم لاقسيم ، فسياسة الدنيا لاتكون بغير الدين .. ومن ثم فلا فصل بينها وبين الدين ، والدولة والحكومة والتشريع وغير ذلك من وظائف الدولة مسخرة فى حراسة الدين ، وفى سياسة الدنيا بهذا الدين ، أيحتاج ذلك القول بعد ذلك إلى بيان .؟!

ـــ ونعرض بعد ذلك عن البحث وراء النوايا ...

هل كان على عبد الرازق مسخرا للاستعمار البريطانى الجاثم على أرض مصر ، والذى كانت دولته العظمى تقف بالدرجة الأولى وراء إلغاء الخلافة فيما تمثل بشروط كبرزون وزير خارجيتها ؟

أم كان مارددە على عبد الرازق « زلة عالم » سقط فيها تأثرا بالفكر الوافد .. ؟

ـــ بعبارة أخرى وعلى طريقته :

هل ارتكب ماارتكبه عامدا عالما .. أم ارتكبه جاهلا غير عامد ؟

وهل يقبل من مثله فى ثقافته ، ومنصبه ادعاء الجهل ؟ وادعاء العفو .. ؟

وأخيرا .. هل صح أنه عاد عما كتب ، وإن لم تنشر تلك الأوبة وهذه التوبة .. ؟!

ـــ أسئلة نعرض عنها مكتفين بما سجلناه موضوعيا من أنه حمل ـــ إن عمدا وإن جهلا ـــ فكر العلمانية الفاصلة للدين عن الدولة أو للدين عن السياسة ـــ والله أعلم .

وأخيرا .. نختم بطه حسين :ـــ

٨٣ ـــ الذى ثار حوله ماقيل من محاولة « هدم الشوامخ » !

ونأخذ طه حسين من لسانه :

أ) « السبيل إلى ذلك ليست فى الكلام يرسل إرسالا ، ولافى المظاهر الكاذبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأوضاع الملفقة ، وإنما هى يعنى الطريق ـــ واضحة بينة ـــ مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهى واحدة فذة ليس لها تعدد : وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ومايحب منها ومايكره ومايحمد منها ومايعاب ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع »

ب) وفى حديثه « عن الأم التى أرضعته » يقول :

« كل شيء فى فرنسا يعجبنى ويرضينى ، خير فرنسا وشرها حلو فرنسا ومرها ، نعيم فرنسا وبؤسها ، كل ذلك يروقنى ويلذنى وتطمئن إليه نفس اطمئنانا غريبا ، إنى أحسب أن نفسى تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار (!!)

جـ) وفى حديثه عن أحد أساتذته « كازانوفا » :

« عرفته أستاذا فى (الكوليج دى فرانس) ولم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجابا لم أعرف له حد ، كان يفسر القرآن (!) وكنت حديث العهد بباريس كنت شديد الإعجاب بطائفة من المستشرقين ، ولكن لم أكن أقدر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا فى إصابة وتوفيق لألفاظ القرآن ومعانيه ، والكشف عن أغراضه وأسراره ، فلم أكد أجلس إلى كازانوفا حتى تغير رأيى ، أو قل حتى ذهب رأيى كله ، وماهى إلا دروس سمعتها منه حتى استيقنت أن الرجل كان أقدر على فهم القرآن وأمهر فى تفسيره من هؤلاء الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق فى تأويله (!!)

فتنت بهذا الرجل (!) لا لأنه كان عالما صادقا (!) ولا لأن منهجه فى البحث كان منهجا دقيقا بل لهذا ولشيء آخر خيرا من هذا ، كان حرا خصبا رفيعا لايتعصب لرأى ولايتأثر بهذه العواطف المنكرة التى تفسد على الناس علمهم وأدبهم وفنهم وحياتهم العقلية والشعورية بوجه عام .

كان « كازانوفا » مسيحيا شديد الإيمان بمسيحيته يذهب فيها إلى حد التعصب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكنه كان إذا دخل غرفة الدرس فى « الكوليج دى فرانس » نسى من المسيحية واليهودية والإسلام كل شيء إلا أن لها نصوصا يجب أن تخضع للبحث اللغوى ، كما تخضع المادة الصماء يتناولونها فى معاملهم بما يشاؤون من ألوان البحث والإمتحان (!) نعم لم يكن مسيحيا ولايهوديا ولامسلما حين كان يعرض لنص من النصوص القرآنية يدرس لفظه ويكشف عن معناه » (١)

د) وفى مكان آخر يردد دعوة سلفه التركى ضياء كوك :

« إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط » (٢)

« إن من السخف الذى ليس بعده سخف واعتبار مصر جزءا من الشرق ، اعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين » . (٣)

هـ) ويدعو دعوة صريحة :

« أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ومايحمد منها ومايعاب ، وأن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها . (٤)

٨٤ ـــ وفى تقويم سريع لطه حسين نقول :

إن نشأته التى كتب عنها فى الأيام وماتعرض له من بؤس فى طفولته ، وماتعرض له فى صباه وشبابه إبان دراسته فى الأزهر مع تقدير فقدانه لبصره ... كل ذلك جعله ينفر من مجتمعه الأصلى ، فلما انتقل إلى المجتمع الفرنسى ، ووجد منه عطفا وتعاطفا حقيقا أو مصطنعا ، عفويا أو مخططا ... وأحيط بالمستشرقين من أساتذة يعرضون ماعندهم عرضا علميا شيقا يأخذ بالألباب ،

---

(١) طه حسين ، حياته وفكره فى ميزان الإسلام ـــ أنور الجندى ص ٣٦ ـــ ٣٧ .

(٢،٣،٤) مستقبل الثقافة ص ٤١ ـــ ٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم أحيط بحنان الأسرة التى زوجته إحدى بناتها ، وهو بعد فى مصر ربما لم يجد من يقبل به ... ثم اللقب الذى حظى به من السوربون « دكتور » .

كل هذه الظروف وغيرها وراء التحول النفسى الكبير ، الذى صاحبه أو أعقبه تحول عقلى كذلك .. دفع طه حسين أن يحب فى فرنسا حتى بؤسها ومرها وشرها ، وجعل نفسه تسبق القطار إلى باريس حين يرتادها !

وجعله يفضل « كازانوفا » على الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق فى تأويله !

مع أن الأول فى اعترافه « مسيحى متعصب » .. والآخرون مسلمون أياكانت درجة إسلامهم !

فطه حسين وقع فيما يخالف الفطرة .. أن يحب فرنسا أكثر من وطنه ، وأن يحب قومها أكثر من قومه ... على النحو الذى قدمنا ، والحكمة ضالة المؤمن :

بلدى وإن جارت على عزيزة وأهلى وإن ضنوا على كرام

فإذا أضفنا للفطرة الدين وهو كذلك فطرة ، فالبلد مسلم وأهل القرآن مسلمون .. أما الآخرون فقد وصفهم هو بأنهم « متعصبون » !

* * * *

٢ ــ آثار العلمانية فى المجتمعات الإسلامية :

٨٥ ــ لاجرم أن المخططين لنقل العلمانية .. بحثوا علميا عن وسائل النقل السريعة والمؤثرة ..

فكان اهتمامهم بالتعليم

وكان اهتمامهم بالإعلام

وكان اهتمامهم بإقصاء الحكم عن الدين

وسوف ننظر فى هذه الثلاثة ، ثم ننظر فى آثر العلمانية فى الأخلاق والتقاليد ! .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أ ـ علمنة التعليم :

٨٦ ـــ لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتعليم ، ولكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعا أن التعليم هو الجهد الذى يقوم به آباء الشعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها .

إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ ، القوى الروحية التى تتصل بفطرية الحياة ، وترنى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام .

إن جون ديوى John Deweyالذى كان تأثيره فى نظام التربية الأمريكى أكبر من تأثير كل رجل فى هذا العصر ، يقول فى كتابه « الديموقراطية والمعارف » Democracy and education إن الأمة إنما تعيش بالتجديد ، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم فى قوالب عقائدها ، ومناهج حياتها .

ويقول البروفسور كلارك Prof Clark : مهما قيل فى تفسير المعارف فمما لامحيص عنه أنه سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها ، وعليها تقوم حياة الأمة وجهادها فى سبيل تخليدها ، ونقلها إلى الأجيال القادمة لذلك ليس من المعقول وليس من الجائز أن تستورد أمة شخصيتها ورسالتها ، ولها عقائدها ومناهج حياتها ، ولها طبيعتها ونفسيتها ، ولها تاريخها وماضيها ، ولها محيطها الخاص وظروفها الخاصة ، ليس من المعقول أن نستورد نظاما تعليميا من الخارج ، ولا أن نكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال وصياغة العقول إلى أناس مهما بلغوا من البراعة فى تدريس مواد تعليمية ، وإتقان اللغات والفنون لايؤمنون بهذه الأسس والعقائد ولايتحمسون لشرحها وتعضيدها ، يقول الأستاذ الأمريكى Dr . J.B. Conanr فى كتابه Education And Liberty إن عملية التعليم ليست عملية تعاط وبيع وشراء وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إننا فى فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنجليزية أو الأوربية إلى بلادنا .
« هذا مع ملاحظة تقارب البلدين : دينا ولغة وحضارة !! » .

ويقول عالم سوفيتى كبير (فى نظرهم) : « إن العلم الروسى ليس قسما من أقسام العلم العالمى ، يشغل فى البلاد السوفيتية إنه قسم منفصل بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف فإن سمة العلم السوفيتى أنه قام على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لاتزال فى حاجة إلى أساس ، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المثالية التى قدمها مركس وانجلز ولينين وستالين ، إننا نريد أن نخوض (وفى أيدينا هذه الفسلفة) فى معترك العلم الطبيعى ونصارع جميع التصورات الأجنبية التى تناهض فلسفتنا الماركسية بكل عزم وقوة . »[1]

وفى تعبير آخر :
« إن التعليم هو الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كيف يشاء ، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أى مادة كيمائية ، هو الذى يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة تراب » . [2]

وفى مكان آخر : « إياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها » . [3]

ثم يقول : « يالبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة فى التاريخ .» [4]

ويقول « جب » :
« التعليم أكبر العوامل الصحيحة التى تعمل للاستغراب ، والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ماتدل عليه ، ولاتستطيع الحكم على مدى الاستغراب فى العالم الإسلامى إلا بمقدار دراسة الفكر الغربى والمبادىء والنظم الغربية ، إن إدخال طرائق جديدة فى الفكر فى البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاما جديدا فى

---

(١) نقلا عن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ونقلا عن : From Hitter to Britber .
(٢،٣،٤) نقلا عن الشاعر الإسلامى أكبر (الاله آبادى) راجع الصراع بي الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التربية من عهد الطفولة فى المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العالية .. فقد انتشر فى منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس فى معظم البلاد الإسلامية ولاسيما تركيا وسوريا ومصر ، يرجع غالبا إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة .. هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التى جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربى فصاروا فى مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التى فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة وفى أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نُفذت هذه الخطة إلى أبعد من ذلك بإنماء التعليم العلمانى تحت إشراف الإنجليز فى مصر والهند .» .

ـــ ويقول اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى (وهو من أخطر من حكموا مصر إبان فترة احتلالها المشئوم) :

« إن التعليم الوطنى عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ! والتى كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا فى طريق أى إصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون فى هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى ولايصيبون إلا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير ، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر .

ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى **إصلاح التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار** والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فإما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى » . (١)

ـــ ويقول عميد المبشرين زويمر فى (مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م ـــ ١٣٥٤ هـ) :

---

(١) تقرير لورد كرومر لسنة ١٩٠٦ الفقرة ٣ ص ٥ الاتجاهات الوطنية د / محمد محمد حسين ج ١ ص ٢٧٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن ١٩ إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، وأنكم أعددتم نشئا فى ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ولايريد أن يعرفها .. وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية . » . (١)

ـــ ونختم هذه المقتطفات بقول « عميد » الأدب العربى : وقد تولى يوما منصب وزير التعليم : « التعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ، **وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضى على النحو الأوربى الخالص** ، مافى ذلك شك ولانزاع ، نحن نُكَوِّن أبناءنا فى **مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكوينا أوربيا لاتشوبه شائبة** »(٢).

ثم يمضى : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين » . (٣)

ويختم : « ..أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ولنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها ومايكره ، وما يحمد منها ومايعاب(!!) (٤) « وأن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها » ...(٥).

٨٧ ـــ وبعد هذه النصوص نخرج بالنتائج الآتية :

(١) أن القائمين على تنفيذ علمنة المنطقة الإسلامية أدركوا خطر التعليم إنه هو الذى يشكل النماذج الجديدة التى إليها مقاليد البلاد ، فإن أردناها علمانية فليكن التعليم علمانيا .

(٢) أن علمنة التعليم سارت على ساقين :

أ ـــ إحداهما تقضى على التعليم الدينى وتكتم أنفاسه بسبيلين :

---

(١) أساليب الغزو الفكرى ص ٦٢ .

(٢ ،٣ ، ٤) : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ .

(٥) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التطويق من الخارج ، والتطوير من الداخل .

أما التطويق من الخارج : فلم تقتصر فقط على الترحيب بالتعليم غير الدينى ، بل اعتمدت على الازدراء بالتعليم الدينى ، والازدراء لمعلمه وطالبه بالكلمة الخبيثة ، والكاريكاتير الخبيث ، والتمثيلية والمسرحية والفيلم ، كل ذلك استهزاء وسخرية حتى يبعد الناس عنه ، ومن ناحية أخرى اعتمدوا على وسيلة عملية وهي قفل باب الوظائف اللامعة أمام خريج الجامعة أو الكلية والمعهد الدينى ، وقصر وظائف الخريج على : التدريس أو الوعظ أو المأذونية وخفض رواتب هؤلاء بما يجعلهم دون خريج الجامعة غير الدينية بمراحل . (١)

وأما التطوير من الداخل : فقد نصح به كرومر عام ١٩٠٦ كوسيلة للتخلص من (جمود الأزهر وتعصبه ونفذ عام ١٩٦١ م بإصدار قانون تطوير الأزهر . وقد كان الهدف خبيثا بإزالة (التركيز) الذى كانت تتميز به الدراسات الأزهرية ، وكانت تحافظ به على التراث القديم ، ففضلا عن المناهج والبرامج (الهشة) فقد ضار إلى جوار الكليات الثلاث التقليدية أضعافها من التى تحمل اسم الأزهر وليس لها من دراستها إلا قشور القشور ! وبذا جرى تمييع هذا اللون من الدراسة الدينية .

ب ــ أما الثانية : فكانت نشر التعليم العلمانى وتشجيعه فى مراحله المختلفة وبمناهجه المختلفة ، وساعد على ذلك :ــ

* إضفاء إهتمام الدولة على هذا اللون من التعليم ، وإفساح المجال أمام خريجيه

---

(١) فى أوائل القرن العشرين (إلى ثلثه) كان راتب خريج الجامعة غير الإسلامية يزيد على خريج الجامعة الإسلامية أربعة أضعاف (!!) فبينما كان خريج الأزهر يتقاضى (٣ جنيهات) كان خريج الجامعة المصرية يتقاضى اثنى عشر جنيها ! راجع كتيبا تحت عنوان المشايخ والاستعمار ــ مكتبة المنار ــ الزرقاء . الأردن ومن أمثلة ماساقه الكتيب المذكور مانقله عن مجلة (كانت تملكها راقصة) من سخرية بشخصية الشيخ مخلوف وذلك إثر إقالة العالم الجليل حسنين محمد مخلوف من منصبه كذلك ماساقته عن جريدة يومية من سخرية بالعالم الجليل الشيخ محمد الغزالى إثر هجومه على الميثاق الوطنى عام ١٩٦١ إذ صورته الجريدة راكبا حمارا وقد وقعت عمامته على الأرض بتأثير « جاذبية نيوتن » والشيخ يصيح « نرفض القوانين الأوربية » ص ٢٠ ، ٢١ من الكتيب المذكور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتولى الوظائف العليا والـمناصب الهامة .

* ابتعاث البعثات من خريجى هذا اللون من التعليم لحمل الألقاب العلمية الرفيعة : الـماجستير ، الدكتوراه ، وإضفاء الهيبة والاحترام على أصحابها ... مع مايجرى معهم فى الخارج من علمنة شديدة رأينا فيما مضى نماذج لها !

* فتح الـمدارس الأجنبية التى اهتمت باستيعاب أبناء « الطبقة الراقية » (الأرستقراطية) يعلمونهم كيف يلوون لسانهم باللغة الأجنبية ، ويتباهون بها ، ويعزفون عن لغة القرآن ، بل وينفرون منها ، ويتعلمون كل ماهو « غربى » من التقاليد والأخلاق والـمثل والسلوك !.

وهذه الطبقة هى التى كان إليها الإمساك بقيادة البلاد .

* إجراء الاختلاط .. بدءا بالـمدارس الأجنبية التى تشملها حماية خاصة ، ثم تدرجا من أعلى بالنسبة للتعليم الوطنى فى الجامعات ثم نزولا إلى الـمدارس الابتدائية .. وأخيرا صعودا إلى التعليم المتوسط بل والتعليم الثانوى الذى تكون فيه سن الـمراهقة الخطيرة . (١)

* ولابد أن تتلو خطوة « ثنائية التعليم » دعوة إلى « وحدة التعليم » تـماما كالدعوة التى سبقت إلغاء الـمحاكم الشرعية فى مصر إذ كانت تشكو من ثنائية جهات التقاضى !

وعندما تروج هذه الدعوة فإنها لابد أن تكون لصالح التعليم العلمانى الذى يمسك خريجوه بمراكز القيادة التعليمية وغير التعليمية ! والله المستعان !

---

(١) وقد جرى التقليل من خطورة الاختلاط : « وإذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر إليه على أنه نوع من الصداقة وليس غراما أو عشقا ، إن خروج الفتيات فى صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التى يستطيع الآباء تقبلها فى الوقت المناسب على أى حال باعتبارها جانبا من جوانب النمو الجسمى للمراهق ..! وفى كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما فى بعض الآحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعى ... !! فالشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية .. هذه ليست أمورا شائنة .. !! (أساليب الغزو الفكرى ــ للمؤلف بالاشتراك ، فصل العلمانية) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٨٨ ــ وهكذا نجد « علمانية التعليم » قد أدت حتى الآن :

(أ) تقلص حجم التعليم الدينى ، وتقلص نفوذ خريجيه ، وإبعادهم عن مراكز التأثير ومراكز صنع القرار ، بل وعن المراكز التوجيهية العامة .

ب) ازدياد حجم التعليم العلمانى ، وانتشار آفاته فى الداخل والخارج وأهمية خريجيه فى مواقع التأثير والتوجيه وصنع القرار !.

ج) تصدر حملة الدكتوراة وبالذات الواردة من الخارج فى صدارة المجتمع لمعانا وأهمية بما يجعلهم موضع القدوة بعد أن صاروا موضع التأثير ! .

والغريب : أن بعضهم يحمل شهادات كتب عليها « لاتصلح للعمل بها بالولايات المتحدة الأمريكية » . لأنه كان من المهم أن يتصدرنا « الجهلة » الذين يحملون هذه الألقاب « زورا » فيردوا الجميل لأصحابها ومانحيها فى المناسبات المختلفة .

والأغرب من ذلك اشتراط ترددهم على الوطن الأم (من الناحية التعليمية) مرة كل خمس سنوات .. ليستمر « الرضاع » بغير فطام !!

هذا شيء مما ينبغى أن يقال حول « علمنة التعليم »

فلننظر ماذا فعلوا فى الإعلام !....

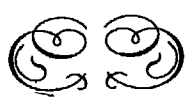

علمنة التعليم (تلخيص)

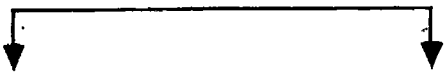

(١) القضاء على التعليم الدينى

أ ــ التطويق من الخارج

الازدراء بالتعليم الدينى

ازدراء معلميه وطلابه

قفل الوظائف اللامعة فى وجه خريجيه

خفض رواتبهم

ب ــ التطوير من الداخل

النتائج : ــ

تقليص التعليم الدينى

ازدياد التعليم العلمانى

(٢) نشر التعليم العلمانى

ــ اهتمام الدولة به

ــ الابتعاث

ــ المدارس الأجنبية

ــ الاختلاط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب ـ علمنة الإعـلام :

٨٩ ـــ لكن كان للتعليم خطورته من ناحية « تكوينه » و « تشكيله » لعقل المستقبل وقلبه ... فقد صار ـــ للإعلام ـــ بوسائله المختلفة ـــ خطورته وتأثيره ... على عقل اليوم وقلبه مع مشاركته فى صياغة عقل الغد وقلبه ..

ولئن كان التعليم يمتد إلى قطاع « الطلبة » ، فإن الإعلام يمتد إلى جميع القطاعات ... ماكان منها متعلما وماكان غير متعلم ، ماكان منها قارئا وما كان غير قارىء ، بل ماكان منها راغبا وما كان غير راغب ، ليشارك بكل الإمكانات والحواس على صياغة « الرأى العام » صياغة خاصة يتقبل معها العلمانية ... وما هو أكثر من العلمانية ..

ـــ ولقد كان من أوائل وسائل الإعلام الصحف ، ولازال لها خطرها ، ومعها المجلات .

ـــ لكن الإذاعة تخاطب مساحة من الناس أوسع على اختلاف ثقافتهم واختلاف اهتماماتهم .

ـــ « والتلفاز » من الوسائل الخطيرة التى غزت كل البيوت تقريبا .. لتنقل إلى الناس فى داخل بيوتهم مايرغبون ومالايرغبون ، بغير استطاعة منهم تجنب هذه الوسيلة أو توقيف بعض برامجها ! وباعتماد على حاستين خطيرتين فى وقت واحد : السمع والبصر ... ليتخللاهما إلى الفؤاد ! (ولتصغى إليه أفئدةُ الذينَ لايؤمنونَ بالآخرةِ وليرضَوهُ وليقتَرفُوا ماهم مقترفون) . (١)

ـــ وتشارك التليفزيون « السينما » مع تأثير أشد ..

ـــ وأخطر من هؤلاء .. « الفديو » الذى صار بعيدا عن كل رقابة ، وصارت تجارة أفلامه من أخطر التجارات ... وغزا بيوت المترفين يجلسون إليه الساعات ..

يفسدون أذواقهم ، ويفسدون قلوبهم ، ويفسدون عقولهم ...

وأخطر مافيه أنه يهون « الحرام » ويجرىء عليه :

---

(١) الأنعام آية : ١١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن بينه علاقات محرمة ، بل علاقات أشد تحريما ، والأخطر من ذلك أن تجلس إليه الأسرة مجتمعة : فيها الأخ وفيها الأخت وفيها الأب وفيها البنت ، وفيها الأم وفيها الابن .. وهو يحطم هذه العلائق والعواطف النظيفة النبيلة ليقيمها على أساس أشد انحطاطا مما عليه أكثر الحيوانات !

٩٠ ـــ ونكتفى فى التعليق على الإعلام بما سجله مؤتمر عالمى : [(١)]

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى إليها إعلامنا ولايزال إلى اليوم يتردى ، فبدلا من أن يكون منبر دعوة إلى الحق ، ومنار إشعاع للخير ، صار صوت إفساد وسوط عذاب ، وخفت صوت الدعوة وسط ضجيج الإعلام الفاسد ، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا وزلزل الناس فى إيمانهم وقيمهم ومثلهم .. ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق .

جـ ـ علمنة القانون :

٩١ ـــ سارت هذه جنبا إلى جنب علمنة التعليم وعلمنة الإعلام لتصير العلمنة من السفح إلى القمة ، ومن القمة إلى السفح !

ـــ وكان أول مظهر لعلمنة القانون فى تركيا عام ١٨٥٧ م ، ثم تلاه فى مصر عام ١٨٧٥ م صدور بعض القوانيين مستمدة من غير الشريعة الإسلامية .

ثم تلاه فى عام ١٨٨٣ م إنشاء المحاكم الأهلية تحكم بالقانون بعيدا عن الشريعة الإسلامية . [(٢)]

ـــ وفى تركيا ومع إلغاء الخلافة تم (عام ١٩٢٤) :

١ ـــ إصدار قانون مدنى مستمد من القانون السويسرى .

٢ ـــ إصدار قانون جنائى مستمد من القانون الإيطالى .

٣ ـــ إصدار قانون تجارى مستمد من القانون الألمانى .

---

(١) المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ـــ المدينة المنورة عام ١٣٩٦ هـ .

(٢) وفى أهرام ١ / ١٢ / ١٩٨٣ يطالب د. مصطفى كيرو بالاحتفال بالعيد المئوى للمحاكم : أفتتحت فى ٣١ / ١٢ / ١٨٨٣ وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، سجلت الحكومة فى خطاب أنها ستحتفل بمرور خمسين عاما على إنشاء هذه المحاكم ، واعتبر يومى ٣١ / ١٢ / ١٩٣٣ ، ١ يناير سنة ١٩٣٤ عيدا لرجال القضاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مصر .

ومع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧ اشترط المؤتمرون أن تستمد مصر تشريعها من التشريع الغربى (بعيدا عن الشريعة الإسلامية طبعا) ومع زوال المحاكم المختلطة صدر القانون المدنى عام ١٩٤٨ ناصا فى مادته الأولى على مصادر القانون جاعلا فى مقدمتها التشريع الوضعى ، ثم العرف الوضعى .

ووضع فى الدرجة الثالثة مبادىء الشريعة الإسلامية والقانون الطبيعى فجعل مكان (الشريعة) الدرجة الثالثة ، وجعل القانون الطبيعى مشاركا لها . وتبعتها فى ذلك أكثر الدول العربية بعد استقلالها ، وصار القانون المدنى المصرى أساسا لكثير من القوانين فى البلاد العربية .

ـــ ولما قضى على الازدواج فى القضاء بإلغاء المحاكم الشرعية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وأحيل اختصاصها للمحاكم الوطنية ، فقد كان ينتظر إلغاء إزدواج التشريع بإلغاء التحاكم إلى الشريعة الإسلامية فى مجال الأحوال الشخصية .

وهذا ماحاولت جهود يائسة الوصول إليه تحت مظلة شعارات مختلفة ، وبادعاء ضرورة التوحيد بين قوانين المسلمين وغير المسلمين !! .

وإن لم تتم الخطوة الأخيرة بصورة نهائية فقد صار النيل من قوانيين الأحوال الشخصية فى الفترة الأخيرة خاصة منها مايتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات .. وكان أقساها وأقصاها ماصدر عام ١٩٧٩ (القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩) والذى صدر فى وقت وظروف تدل على الريبة .. إذ أصدره رئيس الدولة فى غيبة مجلس الشعب بقرار خاص منه ، رغم أنه لم تكن هناك ضرورة ملحة لهذا الإصدار والمجلس يجتمع بعد الإصدار بفترة بسيطة !

٩٢ ـــ بيد أن الدعوة إلى أن الإسلام دين ودولة ، وإلى استمداد القوانين من الشريعة الإسلامية ... والتى غذيت بدماء الشهداء فى بلاد وأوطان كثيرة قد أحدث أثرها فى محاولة « تملق » المشاعر الإسلامية بإصدرات قانونية ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينقصها الشمول ، كما يلزمها الإخلاص ، ونظافة اليد لتتولى تطبيقها . [1]
ومع ذلك لايزال شيطان العلمانية يعمل حتى فى البلاد التى أعلنت التزامها بالشريعة الإسلامية محاولة إحلال « النظام » والأنظمة محل الشريعة .. وتولى « اللجان النظامية » أعمال المحاكم الشرعية .

ثالثا : أثارها فى الدول

قلنا سوف نأخذ ثلاثة نماذج :

ـــ تركيا ـــ مصر ـــ الجزيرة العربية

أما تركيا :ـــ

٩٣ ـــ فقد جرفتها العلمانية .. تعليما وإعلاما وقانونا ، وأورثت مجتمعها :

ـــ فراغا عقديا .

ـــ وفراغا خلقيا .

ـــ واضطرابا فى الموازين .

ـــ وانحلالا وتفسخا .

★ وكانت النتيجة :

ضعف سياسى .. جعل تركيا التى كانت فى مقدمة الدول زمن الخلافة صارت فى مؤخرتها فضلا عن أنها قاعدة لحلف الأطلنطى .

ضعف اقتصادى .. جعل تركيا تستجدى القروض من الدول الأجنبية الأمريكية والأجنبية .

ضعف اجتماعى .. جعل المجتمع التركى يبدو حينا أوربيا وحينا إسلاميا مع تناقض داخل الشارع الواحد[2] وتناقض داخل البيت الواحد .

★ بيد أن القانون الطبيعى : لكل فعل رد فعل ... عمل ولايزال يعمل ..

ـــ وماأعلنه مندريس فى الستينات .. مما اضطر الراصدين إلى إحداث انقلاب عسكرى وإعدام عدنان مرتدريس .

---

(١) مثلها كذلك إصدارات دستورية باتخاذ الشريعة مصدرا رئيسيا للقانون أو المصدر الرئيسى للقانون ، دون ماتغيير يذكر اللهم إلا اجتماعات تجتمع وتنفض !! .

(٢) يشاهد فى تركيا فى بعض الشوارع .. محل الدعارة مجاورا لمحل المسجد ! .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـــ ومافعله أربيكان فى السبعينيات .. مما اضطرهم مرة أخرى إلى إحداث إنقلاب عسكرى ... لايزال حكمه قائما .. وهو يحاول مقاومة التيار الإسلامى بكل سبيل .

ـــ وقبل هذا وذاك ماأعلنه خليفة أتاتورك (عصمت اينونو) : لقد زرعنا العلمانية وحصدنا الإسلام ولانزال ننتظر مزيدا من فضل الله ﴿وسيعلمُ الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ . (١)

٩٤ ـــ أما مصر :ـــ

فقد تعرضت للعلمانية منذ عهد محمد على ... فى صورة البعثات المرسلة إلى الخارج ، والمدارس المفتتحة فى الداخل ، والقوانين التى صار اشتقاقها من مصادر أجنبية والمحاكم الأهلية التى أقيمت ، ثم استمرار العلمانية .. تعليما ، وإعلاما وقانونا وحكما .

ومحاولة تخريب المجتمع المصرى باسم تغريبه فى التقاليد ، والزى ، والصلات ومحاولة ربطه بعجلة السياسة الغربية ، وبعجلة الاقتصاد الغربى ، حتى لايقدر على الفكاك .

وما أحدثه الانقلاب العسكرى عام ١٩٥٢ . (٢)

---

(١) الشعراء ٢٢٧ .

(٢) راجع تفصيلا لذلك « حاضر العالم الإسلامى » للمؤلف حيث أشار الكتاب إلى أنه : « لم يعد خافيا بعد ما نشر من كتابات رجال المخابرات الأمريكية ومن الوثائق الأخرى التى صدقتها الأحداث ، وبعدما شهد به رجال ثقات نثق فى أمانتهم وصدقهم ـــ لم يعد خافيا أن الانقلاب العسكرى الذى تم فى مصر سنة ١٩٥٢ كان انقلابا لصالح اليهود والنصارى فى مصر .

وأشار الكتاب إلى أدلة الخط اليهودى :

١ ـــ ماشهد به اللواء معروف الحضرى ـــ رحمه الله ـــ خاصا بقائد الانقلاب العسكرى .

٢ ـــ ماصرح به مؤسس إسرائيل (بن جوريون) قبل وقوع الانقلاب .

٣ ـــ ماذكره مايلز كوبلاند عن صلات رجال الانقلاب بالمخابرات المركزية قبل الانقلاب .

٤ ـــ ماقام به الانقلاب من حرب الإبادة ضد الجماعة التى حاربت اليهود .

٥ ـــ ما مارسه الانقلاب لصالح إسرائيل حتى انتهى بالإقرار الشرعى لها بالوجود على يد ولسان آخر حكامه .

أما الخطر النصرانى فنحيل إليه فى المرجع المذكور ص ٢١٥ ، ٢١٦ ٢١٧ أما مستقبل الإسلام فى مصر فنحيل إليه كذلك فى المرجع المذكور ص ٢١٧ ، ٢١٨ ـــ نشر دار المجتمع بجدة طبعة ثانية ، وثالثة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وماحمله من لواء « التغيير الاجتماعى » بلوغا إلى التغريب المطلوب .

** كل ذلك أحدث أثره :

تفسخا فى العلاقات الاجتماعية ، ومشاكل داخل البيوت المصرية . واختلافات فى القيم والنزعات والاتجاهات . وبعدا عن دين الله واستهزاءً .. حتى أغرى ذلك قائلهم أن يطلق الصيحة غداة هزيمة ١٩٦٧ بـ « علمنة الذات العربية بإخراجها من الدين » . (١)

* بيد أن القانون يعمل : لكل فعل رد فعل ..

من هنا قامت كبرى الجماعات الاسلامية فى مصر ، تحمل لواء رد العلمانية على أعقابها وترفع شعار الإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ، عبادة وقيادة .. وقامت بعدها ومعها جماعات أخرى بعضها تعجل فى التنفيذ والبعض الآخر مشى أكثر هدوءا !

والجمر يتقد تحت الرماد . (٢)

ومحاولات كثيرة للصد عن سبيل الله كشفت عنها وثائق كثيرة ! (٣)

لكن أمر الله آت ﴿أتى أمر الله فلاتستعجلوه ،سبحانه وتعالى عما يُشركون﴾ وما قام به بطل من أبناء مصر تعبيرا عما يجيش فى صدور شعبها المؤمن لم يكن مجرد (فلته) إنه ظاهرة جديدة جديرة بالدراسة والتعمق ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون .

---

(١) وقد فسروا ذلك بقولهم « تحرير الذات العربية من إطاراتها الغيبية ، والإطارات الغيبية هنا تعنى الإسلام بالذات وليس الدين بعامة ـــ راجع سقوط العلمانية ـــ أنور الجندى ص ٩ ـــ دار الكتاب اللبنانى . بيروت .

(٢) راجع تفصيلا « دعاة لابغاة » للمؤلف ـــ الباب الأخير : من البغاة ؟ وفيه إشارة إلى ثلاثة وثائق :ـــ

ـــ وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر تنادى باستئصال العناصر الداعية إلى إعتبار الإسلام دينا ودولة .

ـــ وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق أنور السادات تنادى باتباع طريق الاحتواء والتفريق .

ـــ وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق أنور السادات شارك فيها بعض العناصر اليهودية والنصرانية ، وهذه الوثيقة تجيب على السؤال من البغاة ؟ .

(راجع الكتاب المذكور ص ١٤١ وما بعدها) .

(٣) النحل آية ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الجزيرة العربية :ـــ (١)

٩٥ ـــ فنكتفى فيها بالنقل عن واحد من أخلص رجال الفكر الإسلامى الحديث (٢) حيث يقول : « نعم فلم تطل هذه الفترة ، فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن غزتها الحضارة الغربية وتدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ، والمستوردات الغربية ، وأكثر من أسباب الترف والكماليات فشحنت الأسواق وملأت البيوت ، وقضت على التقشف فى الحياة وصفات الفتوة والفروسية التى عرف بها العرب من قديم الزمان ، وكانت من أسباب قوتهم وانتصارهم ..

ثم تحدث عن آثار الثروة المفاجئة بسبب الزيت (إلبترول) ، ونقل عن مؤلف أمريكى THE MIDDLE EAST TO DAY Donleretz فى كتابه : هذه الآثار فى مجال الطبقة الحاكمة ، ثم مجال الطبقة السفلى .

ثم يشير الأستاذ الندوى إلى أن من المقررات التى لاتقبل الشك أن الجزيرة العربية اليوم هى غرس محمد ﷺ وثمرة دعوته وجهاده !... وزيادة على ذلك ففيها الحرمان الشريفان ... إلخ .

(١) وتشمل الجزيرة العربية جغرافيا دول : ١ ـــ اليمن الشمالى ٢ ـــ اليمن الجنوبى ٣ ـــ عمان ٤ الإمارات ٥ ـــ قطر ٦ ـــ البحرين ٧ ـــ الكويت ٨ ـــ المملكة العربية السعودية .

(٢) الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام . لكهنو ـــ الهند . فى كتابه القيم (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) وراجع كذلك (إلى أن تتجه الجزيرة العربية) لنفس المؤلف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى
الديمقراطية
« الوجه السياسى الغربى »

تمهيد وتعريف : ــ

٩٦ ــ كما كانت العلمانية بالنسبة للغرب انتصارا ضد طغيان الكنيسة وافتئاتها كانت الديمقراطية انتصارا ضد طغيان الملوك والحكام فى القرون الوسطى ولذا اقترنت هذه بتلك فى صيحة الثورة الفرنسية « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

ولذا كان « ميلاد » الديمقراطية مصاحبا لميلاد « العلمانية » ــ فيما نظن ــ والله أعلم ، كما كان مصاحبا لميلاد الرأسماليه .. ولقد كانت الأولى والأخيرة .. فى الواقع تفرعا على المذهب الفردى [1] Individialisme والذى اعتنق العبارة الشهيرة : Laissez faire Laissez passer وهو وإن كان فى أساسه « اقتصاديا » لكنه سرى إلى الجانب السياسى ليكون أساسا هاما للديمقراطية .

٩٧ ــ بيد أنه سبق ذلك تطور تاريخى داخل بريطانيا .. أدى إلى اعتناق المذهب الفردى بما أسهم فيه كل من هوبز ولوك « الإنجليزيان » وتبعهما بعد ذلك فى فرنسا جان جاك روسو ، وقد بدأ التطور داخل انجلترا ....
إثر الثورة المسلحة التى قام بها « البارونات » فى مواجهة طغيان الملك جون فى أوائل القرن الثالث عشر[2] مماأدى إلى توقيع الملك على « العهد الأعظم » Magna - Carta .. واستمر التطور حتى القرن السابع عشر حتى صدرت

---

(١) بدأ المذهب الفردى اقتصاديا ــ كما سنشير ــ على يد مدرسة الطبيعيين أو الفسيوقراطية ، لكن فلاسفة القرن الثامن عشر استفادوا منه ومدوه إلى النطاق السياسى فصار أساسا ــ للديموقراطية وللرأسمالية فى آن واحد ــ وعضده فى المجال الأول نظرية العقد الاجتماعى ومذهب القانون الطبيعى ــ فالأول يفترض أن الإنسان كان فى حالة من الحرية ، والثانى يجعل الحرية والحقوق طبيعية لاصقة للإنسان .

(٢) إثر فرضه الضرائب الباهظة ومحاولة إجبار البارونات على تزويج بناتهم لأبناء الشعب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وثيقة الحقوق Bill of Rights وبمقتضاها تحدد سلطان الملك وانتقلت السلطة إلى الشعب .

٩٨ ـــ وإبان ذلك كانت كتابات هوبز « من فلاسفة القرن ١٦ » عن أن الناس ولدوا أحرارا ، ولكنهم لم يستطيعوا الحياة فوضى ، فتنازلوا متعاقدين فيما بينهم ليقوم مجتمع يحكمه فرد منهم .

وقد طور « لوك » النظرية من جانبين : **أولهما** ـــ أن الأفراد لم يتنازلوا عند العقد عن كل حقوقهم وحرياتهم بل عن جزء منها بما يلزم لقيام المجتمع ، **وثانيهما** ـــ أن الرئيس كان طرفا فى العقد ، وليس خارجا عن العقد كما فهم من كلام « هوبز » .

٩٩ ـــ وقد تلقى جان جاك روسو هذه الفلسفة فصاغها إبان القرن الثامن عشر فى نظرية العقد الاجتماعى Contrat Social والتى أسسها على أن الأفراد كانوا أحرارا يتمتعون بكافة الحقوق ، لكنهم أمضوا عقدا اجتماعيا نشأت بموجبه « إرادة عامة لمجموع الأفراد » أو « إرادة المجموع » بديلا عن الإرادات الفردية السابقة على التعاقد ..

هذه الإرادة العامة ترعى حقوق الأفراد الطبيعية التى لم يتنازلوا عنها جميعا وإنما تنازلوا عن جزء منها ليقوم المجتمع .

١٠٠ ـــ ومن ثم تدعم المذهب الفردى بنظرية العقد الاجتماعى كما تدعم كذلك بالمذهب الطبيعى (١) الذى يقر للأفراد بحقوق طبيعية غير قابلة للانفصال عن أشخاصهم (٢) وأثر ذلك كله فى انتقال السيادة Souveraintè من الملوك

---

(١) كان موجودا من العصور القديمة ، وأخذ صبغة اقتصادية فى القرن الثامن عشر على يد مدرسة الطبيعيين ثم ساند المذهب الفردى فى افتراض حقوق طبيعية للأفراد .

(٢) وظهر ذلك فى إعلانات حقوق الإنسان التى أعقبت الثورة الفرنسية « تأثرا بالمذهب الطبيعى وبالمذهب الفردى » . وأول إعلان صدر فى عام ١٧٨٩ نصت مادته الأولى : « يولد الأفراد ويعيشون أحرارا ويتساوون فى الحقوق » !

« غاية كل هيئة سياسية هى صيانة حقوق الإنسان الطبيعية ، وهى حرية التملك ، الأمن ، ومقاومة الظلم » .=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث كانت مختلطة بأشخاصهم « LetatCest Moi » لويس الرابع عشر ـــ إلى الشعوب ممثلة فى برلـماناتها .

« وصارت الديمقرطية علما على هذا الخليط من النظام .. » هى تعنى حكم الشعب[1] ومن ثم بتقرير سيادة الشعب . [2] وهى كذلك تقوم على مبدأ الشرعية Principede Legalité وهو يعنى سيادة القانون .

وهى فى الوقت نفسه تحفظ للأفراد حقوقهم وحرياتهم .

ومن ذلك نرى أن **الديمقراطية تقوم على أعمدة ثلاثة :ـــ**

أولهـا : مبدأ سيادة الأمة Prircipede Souverainté denaitjon

ثانيهـا : مبدأ الشرعية Legalité

ثالثهـا : الحقوق والحريات العامة Droits etliberteés de Ihomme وهو مانتناوله ـــ بإذن الله ـــ بشىء من الإيجاز إن شاء الله .

أولا : مبدأ سيادة الأمة

Souverainté Souverainty Souveventat

١٠١ ـــ أشرنا إلى أن هذا المبدأ نشأ مرتكزا إلى نظرية العقد الاجتماعى ، باعتبار أن الأفراد عندما تنازلوا عن حرياتهم وحقوقهم المسبقة عن بعضها « على خلاف بين هوبز ولوك » إنما فعلوا ذلك لتقوم إرادة جماعية تسود عليهم وتكون

= « الملكية حق مقدس غير قابل للمساس به . »

وهذه الحقوق الطبيعية لكل فرد لاتقدم ولاتحد إلا بقدر الفردى الذى يضمن لأفرادالجماعة الآخرين التمتع بنفس الحقوق .

وتبلورت حقوق الإنسان فى : الحرية ، الملكية ، الأمن ، المساواة ، حق مقاومة الظلم Liberté, Proprieté, Secureté, Egalité Resistenceà Ioppression وفى مقدمة دستور ١٧٩١ « لايجوز للسلطة التشريعية أن تضع أى قوانين من شأنها أن تضر أو تعرقل ممارسة الحقوق الطبيعية والمدينة المنصوص عليها فى هذا الباب « الباب الأول من الدستور » والتى يضمن الدستور حمايتها » .

(١) عرف الديموقراطية قديما عند اليونانيين وأصل الكلمة اللاتينى من شقين « ديموس Demos » : الشعب ، « كراتوس Kratos » : الحكم ـــ السلطة .

(٢) وهى تنتقل إلى ممثليه فيكون لهم ـــ بدلا من الملك ـــ حق الأمر : Droit de Commardwe .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لها حق الأمر عليهم : وقد كان فى البداية مقررا للملوك بديلا عن الحق الإلهى لهم ، أو تفويض الله لهم ، ثم انتقلت السيادة من الملوك إلى الشعوب إثر الثورات التى حدت من سلطانهم « فى انجلترا » ثم فى « فرنسا » وانتقل حق السيادة إلى الشعب ..

وتتمثل فى **التطبيق فى صور عديدة :ـــ**

(١) **حكم الديمقراطية المباشرة** : بحيث يكون الحكم إلى الشعب كله .. هو الذى يقرر وهو الذى يقترح ، وهو الذى يشرع ، وهو أمر أقرب إلى الخيال .. إذ يستحيل عملا جمع الشعب كله فى صعيد واحد !

(٢)**حكم الديمقراطية شبه المباشرة** : وهو وسط بين الديمقراطية المباشرة ـــ التى تستحيل تنفيذا ـــ وبين االديموقراطية الثابتة التى يعهد فيها إلى أفراد بأمر السيادة نيابة عن الشعب .

وفيها ـــ أى الديموقراطية شبه المباشرة ـــ يبقى للشعب بعض مظاهر السيادة متمثلة فى : ـــ

أ ـــ الاقتراح الشعبى : كتقديم مشروع قانون ، أو فكرة أو رغبة إلى البرلمان .

ب ـــ الاعتراض الشعبى : ويكون للشعب أن يعترض على قانون يصدره البرلمان فيوقف القانون ويلغى .

ج ـــ الاستفتاء الشعبى : فى موضوع سياسى ، أو دستورى ، أو تشريعى ، وينفذ ما يقرره الشعب خلال الاستفتاء .

د ـــ الحل الشعبى : « أى حل البرلمان » .

هـ ـــ عزل رئيس الدولة : « باستفتاء من الشعب » .

١٠٢ ـــ الحكم النيابى « حكم الأكثرية » : ـــ

وفيه يختار الشعب « نوابا » عنه يمثلونه فى « البرلمان » يكون إليهم أمر التشريع وأمر الرقابة على السلطة التنفيذية ، وأحيانا اختيارها ، وأحيانا اختيار رئيس الدولة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو يتفاوت بين النظام الرئاسى والنظام البرلمانى ، حيث يضعف فى الأخير سلطان رئيس الدولة ، كما يتفاوت تبعا للحكم الجمهورى بصورتيه السابقتين ، أو الحكم الملكى المقيد « كالحكم الإنجليزى » أو المطلق كما كان عليه حال أكثر الأنظمة الملكية من قبل .

وإذا كانت النظم الأجنبية قائمة على تعدد الأحزاب ، فإن الحزب الذى يفوز بالأغلبية هو الذى يحكم ، ويكون التصويت داخل « البرلمان » بالأغلبية كذلك .

إلا أن الدساتير تفرق بين الأغلبية المطلقة والأغلبية الساحقة ، فالأولى تتحقق بتوافر النصف يزيد واحدا .. وهو يسير عليه العمل فى أكثر شئون البرلمان ، أما الثانية فقد تكون أغلبية الثلثين أو أكثر أو منصوصا عليها بما يزيد على الأغلبية المطلقة ، وهى عادة تلزم فى المسائل الهامة « كمحاكمة رئيس الدولة ، أو عزله ، أو إجراء تعديل دستورى » وتسحب الأغلبية من الحاضرين .

ولايصح الحضور حتى تتوافر له الأغلبية المطلقة من العدد كله فى أكثر الدساتير والنظم ، وقد يشترط فى بعض الحالات حضور الثلثين .

سيادة الأمة فى الميزان : ـــ

الديموقراطية ـــ بصفة عامة ـــ وسيادة الأمة كأساس لها ـــ بصفة خاصة ـــ تعيش اليوم أزمة !

(١) فهى فى حد ذاتها منتقدة : إذ تستند إلى فكرة العقد الاجتماعى ، وهى فكرة خيالية بعيدة عن الواقع ، مما دعا البعض إلى إسناد فكرة السيادة إلى أساس آخر هو : أن السلطة نشأت من أجل الأمة ، ومن ثم وجب أن يكون للأخيرة رقابة على الأولى[1] .

(٢) ثم هى لم تمنع الاستبداد : فقد قدم لنا النظام الديموقراطى أمثلة كثيرة مستبدة سميت بالديموقراطية القيصرية Democratie Casarienne كنظام

---

(١) أزمان القانون الدستورى ـــ طبعة بارس ١٨٩٦ ج١ ص١٥٩ ، ١٦٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نابليون بونابرت المستند إلى دستور السنة الثامنة Lanv III في ١٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ، وكنظام لويس نابليون « ابن عم نابليون » عام ١٨٥٢ بل إن كثيرا من البرلمانات مارست نفس الاستبداد حتى قال بعضهم : إننا انتقلنا من الحق الإلهى للملوك إلى الحق الإلهى للبرلمانات Droit Divin de Parliaments - D. P. d. Rois

(٣) ومن ناحية أخرى : فإننا نردد قول دويجى Duguit لم يكن لبشر السيادة على بشر .. لم يكن لبعض السيادة على الكل ، والكل بشر .

وهو ماسنوضحه كثيرا فى المبدأ الثانى ـــ إن شاء الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : مبدأ المشروعية

Legalite , Legality

تعريفه ونشأته:ـــ

يعنى مبدأ المشروعية : سيادة القانون ، بمعنى خضوع المحكوم والحاكم للقانون على السواء .

ـــ وقد ظهر مبدأ الشرعية مع حاجة المجتمعات إلى الحماية فى مواجهة افتئات السلطة وتجاوزاتها .. ذلك أن السلطة تغرى بإساءة استعمالها ، وبالتعسف فى استعمالها ، أيا كان البشر الجالس على كرسيها ، إلا أن يعصمه الله ، أو أن تقف فى وجهه الحواجز ... تحجزه عن ظلمه أو تقصره !

ومهما قيل فى قدم المبدأ ـــ فى الفقه الوضعى (١) ـــ فإننا نحسبه معاصرا لمبدأ سيادة الأمة بعد انفصال شخص الحاكم عن شخصية الدوله .. بحيث صارت السيادة للأمة لاللحاكم .

ذلك أننا نعتبره لازما لوجود المبدأ الآخر « سيادة الأمة » باعتباره الحاجز الحقيقى دون افتئات السلطة وهى تمارس السيادة باسم الأمة أو باسم الشعب .

مبدأالشرعية فى وضع جديد : ـــ

ولئن وجد مبدأ الشرعية انتعاشه وانتشاره فى ظل المذهب الفردى Individialisme Doctrine حيث المجال واسعا لحقوق الأفراد وحرياتهم ، وحيث السلطة محددة فى ممارساتها فى نطاق الوظائف التقليدية للدولة حيث تقوم على حفظ الأمن والسكينة والصحةSecurité, Tranquillité, Santé فلقد تغير

---

(١) راجع طعيمة الجرف ـــ مبدأ المشروعية وخضوع الدولة للقانون ـــ الأستاذ الدكتور طعيمة الجرف ص٥ وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمر حين انتقلت الدولة فى وضعها الحديث من دور الدولة الحارسة Etat Protecteur إلى دور الدولة الموجهة E. Dirigé أو كما يسميها الأمريكيون « دولة الرخاء » Welfare State وغدا تدخلها فى مجالات كثيرة .. اقتصادية ، واجتماعية ، فضلا عن مجالاتها السياسية ، وهى تتدخل باعتبارها صاحبة سلطان لها أن تفرض سلطانها بقوة القانون أو بقوة القرار أو بغير ذلك من الإجراءات ، الأمر الذى قد تتعرض معه حقوق الأفراد وحرياتهم لكثير من الحيف أو الافتئات .

بيد أن لهذا التغيير وجه آخر فى نظرنا .[1]

إن حقوق الأفراد التى كانت ممثلة فى الخمسة التقليدية : حق الملكية ، حق الأمن ، حق الحرية ، حق المساواة ، حق مقاومة الظلم ... هذه الحقوق .. قد فصلت فى مجالها ، على ماسنبين بمشيئة الله تعالى ، وإن وضع عليها قيود لصالح الجماعة ، إلا أن حقوقا أخرى قد ضمت إليها ، وهى ماسمى بالحقوق الاقتصادية أو الحقوق الاجتماعية وهذه وتلك ... أتاحا لمبدأ الشرعية ميدانا أوسع وأرحب .

إنه يقف حارساً لهذه وتلك على السواء .. ومن ثم قوى مبدأ الشرعية ، ولم يضعف واتسع نطاقه ولم يقصر .

ضمانات لمبدأ الشرعية ::ـــ

وقيل بضمانات لمبدأ الشرعية :

ـــ **قيل بجمود الدساتير** .. Lamultabilité Juridique ليحول ذلك دون التغيير الكثير ، والتغيير المفاجىء . إن الأمر يلزم له أغلبية خاصة لاتتوافر كثيرا .

بيد أن الجمود لاقيمة له فى بلاد الدساتير المرنة ، كانجلترا والدول

---

(١) هذا عدول عما ذهبنا إليه فى رسالة الدكتوراه عام ١٣٩٥ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأنجلوسكسونية التى حذت حذوها إذ تكفى الأغلبية المطلقة لأى تغيير ، كذلك لاقيمة للجمود فى بلاد أخرى كثيرة ، يشكل الحزب الحاكم فيها أغلبية ساحقة ، تجعل أفراده « النواب » يتجاوبون مع التغيير المطلوب عند عرضه على البرلمان . (١)

وفى النهاية .. لاقيمة للجمود مع الانقلابات والثورات ـــ التى قيل بسقوط الدستور القديم بمجرد نجاحها بقوة القانون : Enplein Droit وقد أسمى البعض ذلك « بالفقه الثورى » . (٢)

ـــ وقيل بالفصل بين السلطات : « Separation de pouvoirs »

على أساس أن السلطة تحد السلطة Lepouvoir arrete le pouvoir بيد أن الفصل بين السلطات لاوجود له فى واقع دول كثيرة .

والبلاد التى تحرص عليه ـــ مثل الولايات المتحدة أو ماسار مسارها ـــ تمثل شخصية الرئيس فيها الثقل الأول ، ويمثل الكونجرس الثقل الثانى بغض النظر عن الفصل بين السلطات .

ـــ وقيل كذلك بالرقابة القضائية : « Juridique Review »

بأعمال دستورية القوانين ، وشرعية اللوائح لإبطال أو إلغاء أوعلى الأقل الامتناع عن كل نص يخالف النص الأعلى منه .

وهى وسيلة جدية وجادة ... بيد أنها تفتقر إلى مستوى القاضى الرفيع ! فضلا عن أن البلاد التى لاتأخذ برقابة المحاكم نصا ، تتردد كثير منها فى التطوع للرقابة ، ويقف جهدها فى هذه الحالة عند حد الامتناع فقط ، عن تنفيذ التشريع المخالف .

---

(١) ولذا فقد درج العمل على اجتماع « الهيئة البرلمانية » للحزب الحاكم قبل كل اجتماع هام لوضع الخطة لتنفيذ سياسة الحزب فى البرلمان !

(٢) مقالات للدكتور السيد صبرى بعد انقلاب مصر عام ١٩٥٢ م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مبدأ المشروعية فى الميزان : ــ

* المشروعية بوضعها الوضعى تفتقر فى مجالها العملى إلى الضمانات ، فضماناتها التى تقدمت ضعيفة .. وهى بغيرها ضعيفة كذلك ، ومن ثم فإنها كحامية لحقوق الأفراد تحتاج إلى حماية تماما كمن يسند ظهره إلى حائط فإذا هو منهار وإذا هو على شفا جرف هار ، فأنى لها أن تواجه بها « ذئاب » السلطة « وآسادها » .. ولانجاوز هذا الوصف . !

* بيد أنها حتى فى أساسها تفتقر إلى التبرير ، ويفتقر عملها إلى الاحترام ... فالسؤال الذى يفرض نفسه .. لم يكن لمجموع من البشر أن يلزم باقى البشر .. ؟ بأى سلطان يملك هذه « السيادة » ليصير مايصوغه قانونا واجب الاحترام أيا كانت درجته ؟ وإذا صاغ هذا القانون . فلم يحترمه الآخرون ؟ !

ولم ... وقد رأى ــ وله الحق ــ أن ماصيغ هو عين الظلم ، أو عين الباطل !

* وأخيرا وبنظرتنا الإسلامية ..

كيف للبشر أن يفتات على حق الله فيصوغ القوانين ، إنه مهما بلغ العدل فإنه لن يتجرد من الهوى أوالجهل أو الظلم .

ولئن تجرد ــ جدلا فعدله الظلم إذ افتات على حق الله ، ووضع نفسه موضع الألوهية فى هذا الجانب !

المشروعية الإسلامية العليا : ــ

صعب أن نعرض فى سطور إلى ماكتب فى رسالة وسجلته كتب.[1] لكننا نقول ــ بعون الله ــ **أنه يلزم لقيام الشرعية الإسلامية :**

أولا : إقامة شرع الله بشروط ثلاثة :

---

(١) راجع : المشروعية الإسلامية العليا ــ للمؤلف ــ مبدأ المشروعية د / مصطفى كال وصفى ــ رحمه الله ــ ، مبدأ المشروعية د / فؤاد النادى .

أ ــ عدم التجزئة

ب ــ أن تكون شريعة الله هى العليا

ج ــ أن يكون لله الشرع ابتداءً .

ثانيا : إقامة الأمة المسلمة ــ تقوم على الالتزام لاعلى مجرد الانتماء ، وتتوافر فيها الشروط القرآنية للأمة المسلمة .

ثالثا : إقامة السلطة الشرعية : ــ

ــ التى تقيم شرع الله بشروطه .

ــ والتى يرضى الناس عنها .

ــ والتى يتوافر فى رأسها شروط الإمامة ويتوافر فى المحيطين به شروط الإسلام .

﴿ لاتَتَّخِذُوا بطانةً من دُونِكُم لايَألونَكُم خبالًا ﴾ [1] لأن المسلم لايحكم بغير المسلم .

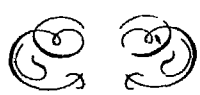

(١) آل عمران آية ١١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : الحقوق والحريات العامة

تقدمة : ـــ

ـــ لئن كانت الشرعية هى « العمود الفقرى » للقانون العام كله ، ولئن كانت سيادة الأمة هى التعبير « النظرى » لانتقال السلطة إلى الشعب بدلا من الحاكم الفرد الذى كان يمارسها تحت دعوى الحق الإلهى للملوك .

فإن الحقوق والحريات العامة ، هى الغاية التى تغيتها .. الثورات والفلسفات والنظريات التى سادت منذ « عصر النهضة » .

وهى التى من أجلها كان « المذهب الفردى » مدعوما « بالمذهب الطبيعى » ، وبالعقد الاجتماعى ، وكانت الشرعية حماية وحراسة لها ، وكانت السيادة صونا من تحكم الفرد حتى لايحيف عليها ..

ومن ذلك الحين: صدر الإعلان الأول لحقوق الإنسان عام ١٧٩٨ م وصدر قبله فى انجلترا العهد الأعظم عام ١٢١٥ م

وبعده وثيقة الحقوق Billof Right وبعده الدستور الأمريكى .

وتوالت الدساتير ، والإعلانات ، وكان من آخر ماصدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ م ، وحرصت كل الدساتير ـــ حتى فى الدول التى لاتعطى الفرد حقوقا ولا حرية إلا النزر اليسير ـــ حرصت على أن تضمن فى صدرها نصوصا حول هذه الحقوق .

ورغم أن حديث الحقوق والحريات .. شهى ، طويل .. فإننا نستطيع أن ندرجها تحت اثنين : ـــ

ـــ المساواة . وتدرج تحتها أربعة : أمام القانون ، أمام القضاء ، أمام الوظائف ، أمام الضرائب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـــ الحرية . وتدرج تحتها ثلاثة :

ـــ الحرية الشخصية .
ـــ الحرية السياسية .
ـــ الحرية الاقتصادية .

(١) المساواة .

وفى المادة الأولى من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان : « إن جميع الأفراد يولدون متساويين فى الكرامة والحقوق » . ويدرج علماء السياسة وفقهاء القانون الدستورى تحت المساواة :

أ ـــ المساواة أمام القانون .
ب ـــ المساواة أمام القضاء .
ج ـــ المساواة أمام الوظائف .
د ـــ المساواة أمام الضرائب .

(٢) الحرية : ـــ

أ ـــ الحرية الشخصية ويدرجون تحتها :ـــ

« الحريات المادية » :

ـــ حق الحياة :
ـــ حق التنقل أو حرية التنقل :
ـــ حق الأمن :
ـــ عدم جواز استرقاق الإنسان
ـــ حرمة المسكن
ـــ سرية المراسلات

« الحريات المعنوية » :

ـــ حق التفكير العلمى .
ـــ حرية العقيدة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـــ حرية التعبير عن الرأى .
ـــ حرية الشكوى « وتقديم العرائض »
ـــ حرية التعليم .

« حريات اجتماعية » :

ـــ حرية عقد الاجتماعات وحضورها .
ـــ حرية تكوين الجمعيات والانضمام إليها .

ب ـــ الحرية السياسية :ـــ

ـــ حق الانتخاب .
ـــ حق الترشيح .
ـــ حق التشريع .
ـــ حق مراقبة الحاكم .
ـــ حق عزل رئيس الدولة .
ـــ حق تولى الوظائف العامة .
ـــ حق تكوين الأحزاب .

ج ـــ الحريات الاقتصادية :ـــ

ـــ حق التملك .
ـــ حق العمل .
ـــ حق الأجر .
ـــ حق الراحة .[1]

الحقوق والحريات فى الميزان :

* * لاننكر أن الفرد فى الغرب نال قدرا من الحرية والمساواة لايتوافر لا فى العالم الشرق ، ولا فى العالم الثالث .

---

(١) الديموقراطية وموقف الإسلام منها ـــ درجة الماجستير ـــ إعداد محمد نور مصطفى الرهوان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـــ فالمساواة أمام القانون ، وأمام القضاء ، وأمام الوظائف العامة ، وأمام الضرائب متوافرة لايخرمها إلا بعض التفرقات العنصرية فى الولايات المتحدة « أو فى بعض ولاياتها » .

وإلا بعض التشريعات تعفى « اليهود » من الضرائب فى بعض بلاد أوربا .. علما بأن الضرائب تصاعدية هناك أقلها فى المجال التجارى « حوالى ٥٠ ٪ » وقد يتجاوز ال ٩٠ ٪

ـــ والحرية الشخصية متوفرة بغير استثناء .

ولقد شهدت فى هذا الجانب نماذج كثيرة .

والحرية السياسية كذلك متوافرة ، لايفضى منها إلا قدرة الملىء اقتصاديا على الدعاية أكثر من غيره .

وقد عمدت بعض الدول إلى تحديدالحد الأعلى للإنفاق الدعائى .

ـــ والحرية الاقتصادية ، بدأت تأخذ مكانها بما لايقل عن وضعها فى المعسكر الشرقى . (١)

** ومع ذلك نقرر بعون الله :

إن الإسلام يستوعب هذه الحقوق والحريات ويزيد عليها كما وكيفا ، كما بالزيادة وكيفا بالتعمق فى أساسها لكن فى تخلف أصحابه عن التزامه والنهوض به . فى التطبيق الخاطىء الذى تدعيه بعض الأنظمة انتسابا للإسلام .

ـــ فالاسلام يقرر فوق الحقوق السابقة جميعا حق العدل :

وتتوافر نصوصه وتتضافر على إعلاء العدل ونبذ الظلم ... (٢) حتى ليقرر بعضهم : (٣) « إن الله يقيم الدولة بالعدل ولو على الكفر ، ولايقيمها بالظلم ولو على إسلام » .

---

(١) ونسجل هنا ماقال البعض من أن الجائع قد يحصل على الخبز ويظل عبدا ـــ جلال أحمد أمين ـــ الماركسية ط ١٩٧٠ ص ١٥١ .

(٢) وإن كان تطبيق البلاد الإسلامية للعدل شائها يسىء إلى الإسلام .

(٣) الإمام الغزالى فى التبر المسبوك « راجع المشروعية الإسلامية » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبلغ فى تأصيله العدل أن يجعله : اسما من أسماء الله « فمن أسمائه سبحانه العدل » واسما لشريعته أو وصفا لها ﴿ وتَمتْ كَلِمَةُ رَبِّك صدقاً وعدلاً ﴾(١) ، ثم أمرا فى تنفيذها بالعدل ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾(٢) . فيتوافر العدل فى المصدر ، والتشريع ، والتنفيذ .

ويربط الظلم بظلمات يوم القيامة ، ويجعله قرين الشرك والكفر ﴿ إنَّ الشرك لظُلمٌ عظيم ﴾(٣) كما يجعله وصفا لمنع إقامة شريعة الله ﴿ ومن لم يحكُم بما أنْزل الله فأولئك هم الظّالمون ﴾(٤) وأخيرا يوضح عاقبة الظلم ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾(٥) ﴿ وتِلكَ القُرى أهلكنَاهُم لما ظَلموا ﴾(٦) .

﴿ وكذلك أخذُ ربكَ إذا أخذَ القرى وهى ظالمة ﴾(٧) ، « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة » .

وأشد من ذلك كله .. أن يجعل مقاومة الظلم ليست مجرد حق ، بل هى واجب « تحجزه أو تمنعه عن الظلم فذاك نصره »(٨) ، ويجعلها صفة للجماعة المسلمة ألا ترضى بالظلم بينها وأن تقاومه ﴿ والذين إذا أصَابَهُم البغْى هم ينتصرون ﴾(٩) ، ﴿ وسيعلمُ الذينَ ظَلموا أىَّ مُنقَلَبٍ ينقلبون ﴾(١٠) .

* * ويربط الحرية بالتوحيد فيعمقها كيفا ..

فالشطر الأول من التوحيد تحرر من كل عبودية « لاإله إلا الله » « فمن يكفر بالطاغوت » .. وكل ماعبد أو قدس دون الله فهو طاغوت بشرا كان أو حجرا ، أو شعارا ، أو نظاما !

---

(١) سورة الأنعام آية « ١١٥ » .
(٢) سورة النساء آية « ٥٨ » .
(٣) سورة لقمان آية « ١٣ » .
(٤) سورة المائدة آية « ٤٥ » .
(٥) سورة النمل آية « ٥٢ » .
(٦) سورة الكهف آية « ٥٩ » .
(٧) سورة هود آية « ١٠٢ » .
(٨) أخرجه البخاري .
(٩) سورة الشورى آية « ٣٩ » .
(١٠) سورة الشعراء آية « ٢٢٧ » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجعل كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة ، ويعبر بعض المفسرين عن ذلك فيقول : أمات نفسا ، وأحيا ـــ بالعتق ـــ نفسا ، فكأن الحرية إحياء .. وهى كذلك إحياء ، والاستعباد موت .. وأى موت . هذان مثلان سريعان . [1]

مع التنويه بما يصنع الإسلام من ضوابط حول هذه الحرية . والله أعلم .

---

(١) وربما أشرنا فى نهاية هذا المنهج إلى الخطوط الرئيسية للنظام السياسى وربما أضفنا نموذجا لإعلان دستورى إسلامى ، هذا وقد أصدر المؤتمر المنعقد فى إسلام آباد نموذجا لدستور إسلامى .

كما قامت رابطة العالم الإسلامى ، والمؤتمر الإسلامى المنبثق عن الأزهر نماذج أخرى فيما نعلم ، وتحتاج هذه جميعا إلى دراسة للاستفادة منها جميعا أو من بعضها .

(٢) فلا يسمح بالحرية التى تصل إلى الإباحة كما لايسمح بالحرية المطلقة فى التشريع ، لأن الأولى عدوان على قيم أصيلة يقوم عليها المجتمع ، والثانية عدوان على حق الله الذى له ـــ وحده ـــ أن يشرع ابتداء وإن كان للذين يستنبطون أن يشرعوا بناء لا ابتداء ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

الرأسمالية

« الوجه الاقتصادى الغربى »

تقدمة :

قدمنا أن الرأسمالية والديمقراطية توأمان .. أيهما سبق الآخر فإن الفاصل قليل ، وإن المذهب الفردى Individialisme الذى أخذ طريقه من خلال كتابات هو جوحروشيوس ، وتوماس هوبز ، وجون لوك ، وجان جاك روسو .. هذا المذهب فرض نفسه فى المجال الاقتصادى حاملا شعار : دعة يمر دعة يعمل Laissez Passer, Laissez Faire الأمر الذى انتقل إلى المجال السياسى ، وتدعم بنظرية العقد الاجتماعى ، وأرسى دعائم الديمقراطية متمثلة فى نظرية السيادة ، ومبدأ الشرعية ، والحقوق والحريات العامة ـــ على نحو مأأسلفنا ـــ ولئن مثلت الديمقراطية الوجه السياسى « للنظام الحر » ، فإن الرأسمالية تمثل الوجه الاقتصادى لذلك النظام ... ومن ثم وجب التعرض لنشأتها ، ثم خصائصها ، ثم آثارها وأخيرا تقويمها والله المستعان .

١ ـــ نشأة الرأسمالية :

لاشك أن الرأسمالية كانت فى عصرها ـــ طورا جديدا للنظام الاقتصادى .. الذى كان غارقا قبلها فى النظام الإقطاعى ، بيد أن الأمر لم يتم نقله واحدا من نظام إلى نظام ، لقد مر خلال كتابات عديدة ، ومدارس مختلفة دعت إلى مبادىء فيها تصحيح لنظام الإقطاع وتقرير لبعض حقوق الإنسان .. أفاد منها النظام الاقتصادى ، بل والنظام السياسى ـــ كما أسلفنا ـــ ونشير إلى عديد من هذه المدارس والكتابات .

ـــ **كانت الصيحة الأولى هو جوحروشيوس** الذى أصدر كتاب قانون الحرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسلام ، وأشار فيه إلى أن للفرد حقوقا لاتقبل التبديل ولاسبيل للقضاء عليها وتبعه فى ذلك توماس هوبز (١٦٥١) ثم جون لوك (١٦٣٢ ــ ١٧٠٤ م)

وقد كان لهم تأثيرهم فى إعلان الحقوق الأمريكى الذى صدر فى شكل دستور للولايات المتحدةالأمريكية وتبعهم جان جاك روسو مناديا بنظرية العقد الاجتماعى Contrat Social التى دعمت حقوق الأفراد الاقتصادية فضلا عن الحقوق السياسية ، وقد أثّرت وأثْرت إعلان الحقوق الفرنسى للإنسان !

ــ وجاءت مدرسة التجاريين

تقيم الدولة على أساس قومى ، وتجعل قوتها من خلال التجارة ، وتجعل تحسن حالتها الاقتصادية رهينة بزيادة صادراتها على وارداتها .
ومن ثم كان الاهتمام بالزراعة وزيادة الانتاج الزراعى وكان الاهتمام بإنشاء شركات تجارية وتشجيع الصناعة ــ وزيادة الصادرات من كل هذا الإنتاج .

ــ وجاءت مدرسة الطبيعيين .

تقرر للأفراد حقوقا طبيعية .. فى مقدمتها حق العمل ، وحق التنقل ، واقتناء الثروة والتصرف فيها وارتفع من خلال هذه المدرسة شعار دعه يمر دعه يعمل Laissez Passer Laissez Faire واستغل الشعار فى المجال الاقتصادى ، وفى المجال السياسى كذلك ووضعت هذه المدرسة أساس المذهب الاقتصادى الحر

... ولئن كانت الكتابات السابقة كلها .. تمهيد للرأسمالية ، فإن الرأسمالية تدين بالولاء لكاتبها الاقتصادى الأول آدم سميث Adam Smith ومن ثم وَجبت الكتابة عنه مستقلة

آدم سميث ..

صار آدم سميث علما للاقتصاد الرأسمالى بعد إذ وضع أسسه فى كتاب أنفق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه اثنى عشر عاما من عمره [1] ، وقد ساعدت ظروف على نجاحه نذكر منها :

أ ـــ أنه ساد قبل كتابه « عصر التنوير » .

ب ـــ أنه عاش فى بداية الثورة الصناعية .

ج ـــ أنه تميز بدقة الملاحظة مع القدرة على التعليم والدوافع الخلقية والظرف الأول والثانى خارجيان ، أما الأخير فخاص به .

ـــ وقد نادى سميث بعدة مبادىء :

أ ـــ القيمة الحقيقة للشيء بقدر ما بذل فيه من عمل ، وثروة الأمة بانتاجها الناجم عن العمل ، ويضيف أن الانتاج يزيد بتقسيم العمل واستخدام الآله

ب ـــ المنافسة لازمة لقيام الحرية الاقتصادية .

ج ـــ النقود أداة التبادل ، والمقادير الاضافية منها تسبب إرتفاع الأسعار

د ـــ لاغضاضة فى إقتضاء الفوائدعن الديون .

هـ ـــ ربط بين رفاهية الفرد وبين الحجم الكلى للعمل وعدد السكان .

ـــ ويعد سميث فيصلا بين عصر سبقه وعصر يليه

ففى مصدر الثروة : قال التجاريون إنها زيادة الصادرات ، وقال الطبيعيون إنها الزراعة ، وقال هو إنها العمل وفى الغاية من الانتاج قال من سبقوه إنها الربح أى مصلحة المنهج ، وقال هو إن الاستهلاك وقد تلا سميث كثيرون لكن أهمهم مثلا نشير إليهم على عجل : مالتس ، ريكاردد ، كينز .

مالتس Malthus (١٧٦١ ـــ ١٨٣٤)

اقترن اسمه بالحديث عن « الانفجار السكانى » المتوقع وقام مبدؤه على ثلاث دعائم :

أ ـــ أولها فى الدنيا هدفان : الغذاء ، والجنس ، أى بلغتنا الإنسان يعيش لشهوتى

---

(١) بدأه فى ١٧٦٤ وأصدره فى ١٧٧٦ ـــ وهى السنة التى أعلن فيها استقلال الولايات المتحدة وأسمى كتابه بحث فى طبيعة وأسباب ثروة الأمم ، وقد تنقل به بين جامعتى اسكفورد وجلاسكو وعين أستاذا بالأخيرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البطن والفرج .

ب ــ قانون تناقص الغلة : وطبقا له فإن الانتاج بعد حد معين تصبر نفقاته أكثر من قيمة الغلة .

ج ــ تكاثر النسل يتم بمتوالية هندسية لاتتناسب مع تزايد الموارد الغذائية ومن ثم نادى مالتس . بتأخير الزواج وتحديد النسل ويبدو أن زعماءنا وساستنا قد اعتنقوا فكر مالتس ونسو قول الله .. ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾[1] وقوله ﴿ ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليْهِم بركاتٍ من السماء والأرض ﴾[2]

وبلغه الاقتصاد .. فإن (الندرة) غير قائمة فى الوطن الاسلامى عقيدة وواقعا[3]

دافيد ريكاردو Ricardo (١٧٧٢ ــ ١٨٢٣)

تحدث فى كتابه « مبادىء الاقتصاد السياسى ونظام الضرائب » عن :

ــ مشكلة توزيع الثروة .

ــ الريع هو الذى يكون من غير مقابل ، والربح يكون بمقابل والأول مصدره امتلاك نوع نادر من المصادر الطبيعية ، والثانى مصدره العمل .

ــ الأجور تخضع للعرض والطلب وترتفع بارتفاع ثمن الحاصلات الزراعية .

كينز Keiȵz (١٨٢٣ ــ ١٨٧٥)

ايرلندى الوطن ، أدخل الرياضة للاقتصاد ، كان أهم ما قاله :

ــ قدم آخر النظريات فيما يتعلق بالنقود .

ــ تحدث عن الدورات الاقتصادية .

ــ تحدث عن أنه لابد من أن تفعل الحكومة شيئا لتخفيف البطالة وتحقيق الرفاهية **Welfarestate**

---

(١) سورة هود آية ٦ .

(٢) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٣) شرحنا ذلك فى مكان آخر ــ أما عقيدة فقد تقدم من القرآن ماينفى القول بالندرة وأما واقعا فقد حبى الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ــ خصائص الرأسمالية :

نستطيع من خلال ما تقدم ، ثم من خلال التطبيق ، أن نتبين للرأسمالية خصائص ثلاث .

أ ــ الحرية الاقتصادية :

تلك الحرية المستمدة أولا من حقوق الإنسان الطبيعية التى نادى بها المذهب الفردى والقائمة على أصلين : حرية العمل ، وحرية التنقل وهى فى تطبيقها تقوم على :

ــ المنافسة الحرة .

ــ قانون العرض والطلب .

وقد مرت تلك الحرية بمرحلتين :

ــ أولهما : اقتصاد الرفاهية Welfare Staté

ــ ثانيهما : الاقتصاد الموجه Economie Derigé وفى الأخير تم تشذيب الرأسمالية أو تطعيمها بشيء من الاشتراكية .

ب ــ الملكية الفردية :

تعترف الرأسمالية بالملكية الفردية ، وتعدها حافزا هاما للإنتاج وللتقدم الاقتصادى .. بيد أنها قد مرت كذلك بمرحلتين :

مرحلة الملكية المطلقة من غير قيود .

مرحلة الملكية المقيدة أوالتى أطلق عليها أنها تؤدى وظيفة اجتماعية وكانت المرحلة الثانية تأثرا بالاشتراكية .

إلا أن الأخيرة تأثرت بالرأسمالية حين اعترفت بالحافز الفردى ، وحين أبقت على الملكية الفردية فى بعض البطاقات « حديقة المنزل ، أثاث المنزل ، سيارة صغيرة ثم ملكية صغيرة » .

= وطننا الإسلامى الكثير الذى ينفى عنه إمكان وقوع الندرة فيه اللهم إلا أن يكون عقابا ربانيا بذنوب أبنائه ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ﴾

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ج ـــ الفائدة أو الربا :

النظام الرأسمالى نظام ربوى ، وقد يشير ذلك إلى الأصابع اليهودية التى تعيش بالربا ، وللربا ، على الربا .. ويعترف التاريخ بأنهم أول من أنشئوا نظام المصارف وأنهم كانوا أول المستفيدين بالتكاثر « السرطانى » من غير جهد وقد أدى النظام الربوى إلى أزمات اقتصادية فى الدول الرأسمالية وقد رفضته الأنظمة الاشتراكية .

٣ ـــ آثار الرأسمالية :

أما آثارها النفسية والاجتماعيه :

أ ـــ فقد أدت إلى ضعف الوازع الدينى ، وطغيان الوازع المادى ، وصدق الله ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾[1]

ب ـــ استغراق حياة الأفراد فى السعى على الرزق وفى المزيد من المادة « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » وما ترتب على ذلك من فقدان الإحساس بالآخرين ، ومن التعالى « ومعه الريال ، والدولار » والكبر والغرور وأخيرا أمراض الترف وقمتها الفجور ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمّرناها تدميرا ﴾[2] فضلا عن الأمراض العصبية التى تصاحب تضخم رؤس الأموال وزيادة نسبة الانتحارات .

ج ـــ تثبيط الرغبة فى الخدمات الاجتماعية وهى مترتبة على فقدان الإحساس بالآخرين ، وانفصال الطبقة المالكة عن بقية الطبقات المسحوقة ، ومايترتب على ذلك من حسد وحقد .

أما الآثار السياسية :

فأولها ضعف طبقة الناخبين وتأثر ذممهم بمحاولات الشراء الرأسمالية .

وثانيها سيطرة رأس المال على الحكم

وثالثها انفصال الديمقراطية عن الرأسمالية .. بمعنى أنه لايلزم للديموقراطية أن يقوم نظام رأسمالى ، فإن دولا بعيدة عن الرأسمالية تقيم الديمقراطية مثل الدنمرك

---

(١) العلق / ٦ ، ٧ .

(٢) الإسراء / ١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسويد والنرويج ، والديموقراطية فيها أكثر ازدهارا من الولايات المتحدة الأمريكية .

٤ ــ نقد الرأسمالية :

والنقد يشمل الوجهين وجه المزايا ووجه العيوب أما المزايا فيكفى فيها :

أ ــ الاعتراف بالفرد ، وشخصيته ، وحقوقه.. وهو أمر لابديل عنه ولا عوض عنه مهما كانت المزايا الأخرى !

ب ــ وفرة الإنتاج وجودته ، وهو أمر شاهد ، وعكسه قائم فى الأنظمة القائمة على الاشتراكية .

ج ــ اقترابها من الفطرة . فى شأن حب التملك ، وتوافر الحافز الشخصى على الإنتاج ... إلخ .

أما العيوب فيكفى فيها :

أ ــ انتشار البطالة ، وما يترتب عليها من مخاطر اجتماعية وسياسية .

ب ــ الكساد الاقتصادى ، فإن وفرة الإنتاج تؤدى بعد فترة إلى الكساد .

ج ــ الاحتكار :

وهو واضح فى النظام الرأسمالى وله عيوبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأخطره ما يتخذ نظام « الكارتيلات » الذى يترتب عليه التحكم فى السوق العالمية وفى الأسعار وأحيانا فى المواد النادرة وقد نشأت صورة أخرى حديثة للاحتكار وهى المشروعات المتعددة الجنسية حيث تقوم الشركات الكبرى بإنشاء فروع لها ولمصانعها فى دول عديدة كذلك يظهر ظلم النظام الرأسمالى فى فرضه سعر الفائدة .

وبعد

فلقد نشير فى نهاية هذه الكلمات إلى أن النظام الإسلامى إذا يأخذ مزايا النظام الرأسمالى فإنه يرفض عيوبه ، ويقيم نظامه الاقتصادى على أساس من التكافل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاجتماعى عموده الزكاة التى هى حق معلوم وليست صدقة أو هبة أو فضلا ، فضلا عن رفضه الاحتكار بكل أنواعه ، والرباكذلك بكل أشكاله ، وعلاجه للكساد والبطالة بما يقيمه من توازن بين الفردوالجماعة وتكافل صادق بين أفراد المجتمع جميعا .